الانسان الكامل فى الاسلام

وأصالته النشورية*

تأليف

لوى ماسينيون

(*) بحث نشر فى *Eranos-Jahrbuch* 1947 سنة ١٩٤٧ وطبع فى اتسورش Zürich بسويسرة سنة ١٩٤٨ ، وعنوانه الأصلى : ***L'Homme Parfait en Islam et son originalité eschatologique*** « والنشورية » نسبة إلى النشور أى الإحياء فى الآخرة ، ونقصد بها الأخروية وما يتصل بالعالم الآخر من حساب وثواب وعذاب ، الخ .

obeikandl.com

obeikandl.com

قبل الخوض فى الروايات الإسلامية عن « الإنسان الكامل » ، أودّ ، كما يقول يونج[١] ، أن « أضرب بسهمى فى اللعب » : بأن أهيئ الأسباب للدخول فى « ميدان المعقولية » الذى فيه تصدق تلك الموضوعات ذات الطابع النموذجى المتفاوت الدرجات . ألا فليسمح إذن لعالم اجتماعى يعنى بالإسلاميات أن يتعرّف ، على الطريقة « الوجودية » ، ما لهذه الموضوعات من أهمية حيوية عصرية عامّة ، وذلك فى الوقت الذى اقتربت فيه ساعة « الحساب الأخير » لأوربا الاستعمارية (وللصهيونية التى تحاكيها) ، وأفصحت عن أشراطها فى الصيحة الصاعدة من أفواه الشعوب التى ابتليت بالاستعمار ، وقد حَرمناها نحن من حظ الإفادة من مزايانا الثقافية والحضارية فاندفعت تطالب بحقوقها .

« الحساب الأخير » ، إى والله . فقد لاحظ منذ قليل فيلسوف هو الوجودى المسيحى جبريل مرسل فى مقال له بعنوان : « الصناعة الفنّية والخطيئة »[٢] ، أن حرب اللاوياثانات[٣] قد أصابها من الشمول ما جعلها بمثابة جريمة عامة ضد الحياة ؛ وإن « القنبلة الذّرية » قد ارتفعت بالتهديد بالإفناء إلى سُلّم كوكبى[٤] . أجل ، لا يزال ثمت

---

(١) [كارل جوستاف يونج Carl Gustav Jung عالم بالنفس والأمراض النفسية ، سويسرى ، ولد فى بازل فى ١٨٧٥/٧/٢٦ ودرس الطب فى بازل وباريس . وشغل من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٠٩ منصب مساعد ثم أستاذ فى عيادة الأمراض النفسية فى اتسوريش . ومن سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩١٣ كان مدرساً لعلم الأمراض النفسية فى جامعة اتسوريش . وهو من أوائل أتباع فرويد ، ثم انفصل عن مدرسة التحليل النفسى لفرويد من أجل تكوين مدرسة خاصة هى المعروفة بمدرسة اتسوريش — المترجم] .

(٢) راجع G. Marcel : «Technique et péché», ap. « *le cheval de Troie* » 1947, I, p. 76-94 [وجبريل مرسل فيلسوف وجودى ذو نزعة دينية بارزة عبر عن مذهبه فى صورة خواطر أودعها كتاب « يوميات ميتا فيزيقية » ، باريس ، جالمار سنة ١٩٢٨ و « الوجود والملك » *Etre et Avoir* باريس ، أوبييه ، سنة ١٩٣٣ . وقد ولد سنة ١٨٨٩ . وهو فضلا عن هذا مؤلف مسرحى ملحوظ المكانة — المترجم] .

(٣) [Léviathans : وفى العبرية لوياثان ، ومعناها فى « الكتاب المقدس » الذى يظهر فيه هذا اللفظ ست مرات ، حيوان خيالى أو حقيقى : ففى سفر « أشعيا » (٢٧ : ١) هو حيوان على هيئة أفعى ملتوية ، وفى « المزامير » (مزمور ١٠٤ : ٢٦) حيوان يعيش فى المياه ، وفى سفر « أيوب » (٤٠ : ٢٥) يفسره الشراح بأنه التمساح] .

(٤) [أى بعد كوكبى ، بمعنى أنه شامل للأرض كلها] .

احتجاج ينطلق فى استحياء هنا وهناك باسم « الشفقة على الحياة » ، لـكن الصناعة الفنية التى لا ترحم يرى أصحابها الصفوةُ أن هذه الشفقة على الحياة صارت أمراً تتضاءل أهميته يوما بعد يوم حتى ليمكن إهماله . ولهذا فقد دخلنا فعلا — آمنّا بذلك أو لم نؤمن ، ما دامت الإنسانية أضحت على أُهْبة الانتحار — نقول إنا دخلنا فعلا فى عصر « نُشُورى » .

هذا من حيث المظهر الخارجى ؛ — ومن حيث الباطن إن كنّا ممن يحتملون ، من غير تسليم بذلك ، سماع صرخة العدالة من حناجر البائسين الذين احتوشت عليهم المصانع الحاشدة فأوقعتهم فى مضايق مشابكها ، هنالك نستشعر لمس خطر الخلاص يقبل علينا من العالم الآخر . وهذا جانب رؤياوى[1] تعنى بدراسته المجلة الپاريسية[2] : « الله حَىّ » ، من بين ما تعنى به من آفاق فلسفية ودينية . و بينما نشاهد أنه قد أنشئ حديثاً فى باريس أيضاً « لجنة مسيحية للتفاهم » بين فرنسا والإسلام ، فى نفس الوقت الذى تدأب فيه أقلية من الزعماء الاستعماريين فى أمريكا وأوربة على معاملة الـ ٤٠٠ مليون مسلم الذين فى العالم (و الـ ٨٠٠ مليون هندوكى وبوذى) معاملة المنحطين ، بينما يحدث هذا كله يَحُكُّ فى صدورنا الشعورُ بأن « الإنسان الـكامل » لن يكون هذا الإنسان الآلى الذى توجده « الهندسة الصناعية » المغرورة التى يهيئ أسبابها التقـدمُ الفزيائى الـكيميائى ، بل إنه سينبثق من الأوساط الإنسانية ، متخذاً صوت قاضٍ « حاكم » قد أُلْجِىء إلى النطق بالحـكْم الفَصْل[3] .

وأيًّا ما كان الأمر ، فإن فـكرة الإنسان الـكامل إنما نشأت ، حسب رأينا ، فى الرُّؤَى الساميّة ، لا فى الفلسفية الهلّينية التى تحجرت فيها (من بعدُ) فى قالب تنظيمىّ .

---

(١) [نسبة إلى سـفر الرؤيا *Apocalypse* وهو آخر أسفار « الـكتاب المقدس » ، وينسب إلى يوحنا ، وكله ملىء بالرموز التى يرجع تأويلها إلى إشارات إلى وقائع تاريخية عصرية (عهد نيرون باضطهاداته الشديدة للمسيحية) وإلى أفكار أخروية تتحدث عن البعث والنشور والحساب والمسيح بوصفه الحاكم العادل المثيب المعاقب — المترجم] .

(٢) [*Dieu Vivant* مجلة دينية يشرف عليها خصوصا الأستاذ ماسينيون وجندياك Gandillac وجبريل مرسل O. Marcel . وتمتاز بأنها تحاول المزج بين إشاعة الروح الدينية الصادرة عن تجربة مباشرة وبين الإجابة عن المشاكل الروحية العصرية من وجهة نظر الحياة الروحية المسيحية — المترجم] .

(٣) الـكراسـة ٧ من مجلة « الله حى » ، پاريس نشرة Seuil ؛ راجع « الشهادة المسيحية » *Témoignage Chrétien* [جريدة مسـيحية] پاريس فى ١٩٤٧/٦/٢٧ ، و ١٩٤٧/٨/١٥ (و « كونبا » *Combat* ، پاريس فى ١٩٤٧/٦/٢٢ ، وفى ١٩٤٧/٧/٢٣) .

فهى عند أنبياء بنى إسرائيل فكرة « عبد يَهْوا » ، فكرة « العادل » المبتلى بالآلام ، والذى يكشف الردّ الظافر لكرامته إليه ، فى نهاية الأزمان ، عن « سر مجد العادل[1] » ، هذا السرّ الذى أخفاه الله عن الملائكة ؛ عن « الأمانة » التى لا يستطيع حملها غير القلب الإنسانى (القرآن : سورة « الأحزاب » : ٧٢ ؛ « ذهاب الأمانة » ، « سنن » ابن ماجة جـ ٢ ص ٤٩٩) . وهى فى المسيحية الإيمان بعَوْد المخلّص[2] ، والتتويج (المثلث الملكوت) للكنيسة ، والتأليه لكل أولئك الذين أدركوا الله الحىّ بقلب واحد ، والتمجيد المنتقم لكلمة الحضرة ، « كُنْ » ، العذراوية . وهى فى الإسلام « شاهد القِدَم » ، صوت « الروح » الذى سيُحَطِّم فعلُه الرجعىُّ كلَّ الرموز الوثنية « فيملأ الدنيا عدلا كما مُلِئَتْ جَوْراً » — هذا النشيد الموحى الذى يدوّى من استشعار الجمال الأزلى المستعاد .

والفكرة الساميَّة عن الإنسان الكامل وثيقةُ الصلة بالأسلوب النبوىّ . فعلى الرَّغْم من الأحكام السابقة الهندية — الأوربية ، فإن النبوّة ليس من شأنها أن تندرج ، عند الساميِّين ، فى قالب الفعل المستقبل وما يتفرع عليه من أحوال للاستقبال ، تُصبغ بـ « اللون المحلى » الخاص بنا ، و بـ « زماننا الذاتى » نحن معاشر الآدميين ؛ وليس من شأنها أيضاً أن تندمج فى سياق التتالى الوضعى العَرَضى لتلك الأحداث المنفصلة التى تعبِّر عنها اللغاتُ الالتصاقية .

* * *

فى اللغات الساميَّة نشاهد الأسلوب النبوىّ يولج الجانب التام للفعل فى الجانب غير التام ، والمطلقَ فى النسبى ؛ و « معجزة » النبوة تعبّر عن نفسها ، — لا بتقسيم الفِرار الخطِّى للزّمان (بواسطة حوادث منفصلة ، عارضة ، نُقْطية ، دقات الساعة ، يضاف بعضها إلى بعض لعدّ الحركة ، مثلما فى الساعة الرمليه الأرسطاطالية) ، — ولا بقلب الدَّوْرية الجَمْعية للزمان المتعدد الأوجه ، زمان الكواكب ، هذا الانعكاس ، فى مذهب أفلاطون ،

---

(١) سفر « أشعيا » ، أصحاح ٢٤ آية ١٦ ، ليون بلوا Léon Bloy رسالة إلى هلو Hello بتاريخ ١٨/٨/١٨٨٠ (فى : « السائل المجهود » ، ٢ : ٧٩)

(٢) [παρουσία = Parousie ومعناها فى الإنجيل « العود الماجد للمسيح » على أساس الاعتقاد أن المسيح سيعود إلى الدنيا من جديد (أربع مرات فى إنجيل متى ، وسبع مرات فى رسائل القديس بولس) — المترجم] .

للسرمدية (بمشاهدة عَوْداته وسَبَقاته وخسوفاته ، فى الجنومون[١] النصف كروى الكلدانى) و إنما بوقف البندول (الرّقّاص فى العربية) عند درجة الصفر لسَعة الذبذبة (التى ترقص ، مع نبض الحياة ، حول اللحظة الحاضرة) : عند نقطة البيكار لدى الدروز ، عند النهاية القصوى للمسارعة ، عند نقطة الوصول ، غير المتوقعة ، فى « مقام الخلاص » (القديس أوغسطين) .

وهذه الوَقْفة هى « المصيبة » ، ذلك العنصر الأول لكل « ملحمة » ، مصيبة عدالية تُفكّك جهاز التركيب الفانى للطبيعة بمنحها صفة القداسة ، وتشفى طبّيا غريزةَ القداسة ، لدينا . وتلك المصيبة المذكورة تفجّر فينا غائيتنا النهائية ، حيث نتعرف علّة وجودنا ، وذلك بتفاهم فجائى قُرْبانى ، يحَقّق فينا : شخصيا ، هذا الرمز أو ذاك أو ذلك الموضوع النموذجى للتاريخ الإنسانى . وهذا التضامُ المحورى للزمان البندولى ، هذه الملحمة تكشف « بطريق القهقرى » عن غائية التاريخ (التضامن فى شخص آدم ، وقابلية العَوْد فى شخص المسيح) ، وتؤدى إلى عَوْدٍ لانبثاق ما أهمل من قبل من أحجار الزاوية وتعرّفها بمناظرتها بـ « لبنة الفضة » المفقودة ، و بمفتاح القبة المقدّس « للبنيان المرصوص » (« سورة الصف » : ٤) ؛ و « تقلب » فوّهة « الصُّوْر » الداعى فى اتجاه الأصول الأولى ، و « تعود » بنظرة « الحاكم » فى ميل النتائج المضادّ صوبَ الأسباب ، وتوضّح العلامات المتقاطعة باستعادة ذكر العلائم النموذجية ؛ و إن ميول العناية (الإلٰهيـة) البادية فى المحن والطامّات والأحقاد لتفضح وتقْطع وتعزلُ وتهدِّم مَن قُدِّر عليهم « العشق » (الإلٰهى) وقد صاروا بمثابة أهداف أمام الملإ : « لا شخصَ أغيرُ من الله » (« سنن » البخارى ، باب « التوحيد » عند نهايته) ؛ « قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ ٱللهِ أَحَدٌ » (سورة « الجن » : ٢٢) .

ومهما قيل ، فإن نبرة حارة صادقة تخرج من هذه النصوص و إن بدت منافرة لأفهامنا بما فيها من تمزيق لوجه المكان وتبديل فى الأزمنة واضطرابات مقصودة ، ترتبط بالاستعمال المُعْتزم ، النموذجى ، لبعض الأعداد الصحيحة : مما يولّد تداخلا فى الأعْصار ، وتقاربات فى المنظورات ، ابتغاء « إيلاجنا من جديد » فى محور الإرادة الإلٰهية . والصور

(١) [آلة تتكون من قضيب يلقى ظلا على سطح مستو أفقى ، الغاية منها معرفة ارتفاع الشمس والقمر فوق الأفق بحسب مقدار طول ظل القضيب ، وذلك لمعرفة الساعة — المترجم] .

الشاذة ، الوحشية فى مساقها ، التى تتبدى فى هذه النصوص تخدع حاستنا الجمالية ، فتفضى بنا إلى أن نفهم أن كتّابها « الموحَىٰ إليهم » هم مُقَدَّماً شهود القلْب النهائى للقيم الإنسانية ، ولا يحاولون مطلقاً أن يأخذوا بنا من « الخيوط الغليظة » للتكتل الغائى « للخدعة الكتابية[1] الكبرى » (grosse Täuschung [الخدعة الكبرى] التى تحدث عنها افرنتس دليتش[2] Fr. Delitzsch) . وهم يحققون فى الله الهُوية الجوهرية للتوقعات التى تمزق أفئدتهم ، والنبوءات السابقة التى حققها من قبلُ أسلافُهم ؛ فذاكرتهم تستحيل رجاءاً ، ومن أجل هذا « يُدخلون » فيها ، بالاستخراج المتكرر ، بعضاً « مما يقع » (من أحداث) .

والنبوّة هى البلاغ الملائكى إلى الطبيعة الإنسانية بالإتمام الخارق (للطبيعة الإنسانية) لغائيتها . وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بنوع من الإهلاك الظاهر : الإهلاك لـ « المعبد » البدنى ، وتخليص النية الروحية والغاية من العبادة فى النفس التى تتجرد أمام الله فتجد فى ذلك النوع المعقول الذى تُتِمّه وهى تموت به ، الشاهدَ الأعلى للحق الذى يجب عليها التعبير عنه : وذلك بالتفوّه بعبارة خالقة ، الضمير فيها ، الضمير المبتدأ ، هو « أنا » ، أى بصيغة المتكلم ، وهو هو الله بعينه وهو يؤكد ذاته مباشرةً من خلال تحطيم الأيقونة وعن طريق التحطيم المادى للصليب ، إنه هو الله ، ولكنه هو أيضاً الإنسان الكامل ؛ فهو لم يَعُدْ بعدُ اللاهوت وقد اتخذ مظهر الناسوت ؛ بل هو الناسوت وقد تدثر بثياب اللاهوت .

وعلى هذا النحو نرى أن الملحمة (الرؤيا الأخروية) الحقة تصبح مُحَقِّقة ، لا باستعمال طارئ لحمل باهظ مُغْرِض ، ولكن حينما تتقطع أوصال الاشتراك (اللفظى) المبدأى تحت التأثير الباطن لمُحَلِّل (بالمعنى الكيميائى) حاد ، أعنى لتفسير روحى يُسْتَشْعَر بألم ، وتمزُّق

---

(١) [نسبة إلى الكتاب المقدس — المترجم] .

(٢) [افرنتس دليتش : لاهوتى وفيلولوجى ألمانى . ولد وتوفى فى ليبتسك (١٨١٣ — ١٨٩٠) ، وأصبح أستاذاً للاهوت فى روستوك (سنة ١٨٤٦) وارلنجن (سنة ١٨٥٠) وكان من خيرة رجال هذه المدرسة الأخيرة . ومن بين مؤلفاته : « تاريخ الشعر اليهودى » (سنة ١٨٣٦) ؛ « مرسم الجسد الصحيح والدم للمسيح » (سنة ١٨٤٤) ؛ « أبحاث جديدة عن أصل الأناجيل القانونية » (سنة ١٨٥٣) . وابنه فريدرش دليتش ولد فى ارلنجن سنة ١٨٥٠ وتوفى فى انجشفالباخ سنة ١٩٢٢ ، وكان أول أستاذ للأشوريات فى ألمانيا . وأشهر مؤلفاته : « بابل والكتاب المقدس » (سنة ١٩٠٢) وهو كتاب يمتاز بالنقد الحر . وله أيضا : « ملحمة الخلق البابلية » (سنة ١٨٩٧) ؛ « المعجم الأشورى » (سنة ١٨٩٦) — المترجم] .

للصدر (« شرح الصدر ») : فها هنا قَلْبٌ للقيم « يوقظ النائم » (ابن سبعين) ، وصرخة الأَمَةِ وهى تلد (الجيلى)[١] ؛ وإنما التواضع وحده ، تواضع العهد على الفقر ، يرشح المرء لكيما يكون « حاكما » ، واليتيم الأب هو وحده ، وقد ولد من كلمة الحضرة : « كُنْ » هو الذى يستطيع أن يبعث الموتى . وفى الإنجيل نَصَّان لا تزال لهما قيمة رؤياوية (ملحمية) منقطعة النظير ، لأنهما غير متحققين وهما : طوبيات موعظة الجبل ، ودعاء التمجيد[٢] Magnificat (إنجيل لوقا ، الأصحاح الأول : ٤٦ — ٥٥) ؛ وما يبشران به من مجىء الإنسان الكامل ونصر المظلومين ليسا ، فى نظر صناع التفسير الحرفى الشرعى ، إلا نسيجاً من التُرهات ؛ أما أولئك المحرومون من كل شىء ، اللهم إلا من التعطش اللامادى للعدالة ، فيستمسكون بعروتهما الوثقى من أعماق رجائهم لا يقهرهم شىء .

نعم ، إن المنحولات والمزيَّفات عديدة فى الكتب المنسوبة إلى الأنبياء ، حتى بمناسبة بعض الأمور الصحيحة . فقد حدث فيما يتصل بجان دارك مثلا أن عُدِّل ، سنة ١٤٢٩ ، فى نبوءة مِرْلان[٣] Merlin عن « العذراء من الخشب الناصع » الكلتية ، وذلك باقتطاع جزئية طوبوغرافية . لكن فيما عدا هذه الجزئية ، فإن الموضوع النموذجى كله قد بقى ، وهو أن من الممكن تصديق جان دارك بدون كذب ولا تمويه ، كما يفهم من قضية سنة ١٤٣١ .

أما النبوءات الكاذبة التى صنعت من أجل سياسيين دنيويين فإنها تتهافت من بعدُ

---

(١) عبد الكريم الجيلى (المتوفى سنة ٨٣٢ هـ = ١٤٢٨ م ؛ راجع كتابنا : « مجموع نصوص غير منشورة » ، باريس سنة ١٩٢٩ ، ص ١٤٨) فى « الإنسان الكامل » ، طبع القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ ج ٢ ص ٥٠ : « تلد الأمة ربتها » ؛ قارن الكلمة « صيحة » (سورة « ق » : ٤١) .

(٢) [تطلق هذه الكلمة على نشيد من أناشيد مريم العذراء هو نشيدها عند أليصابات حينما حيتها هذه مبشرة إياها بأنها « امرأة مباركة من بين النساء » . (إنجيل لوقا ١ : ٣٩ — ٥٥) . وفى هذا النشيد المتأثر بنشيد حنه أم شمويل (١ ، « الملوك » أصحاح ٢ : ١ — ١٠) تعبير عن تواضع مريم ورحمة الله بها وبإسرائيل — المترجم] .

(٣) [مرلان Merlin أو مرلان الساحر . شخصية فى الأساطير الكلتية وأساطير الملك أرتور ؛ ويلوح أنه كان محارباً وشاعراً ، عاون الملك أرتور فى كفاحه ضد السكسون . ويقال إنه ولد من راهبة وجنى أرادا منه أن يكون المسيح الدجال ، لكنه أنقذ من الشيطان بفضل المعمودية ، بيد أنه حافظ على مواهبه الخاصة بالسحر والتنبؤ حتى عاون بسحره الملك أرتور على امتلاك إيجرن Yguerne الجميلة . وقد انتشرت نبوءاته فى العصور الوسطى واختلطت بها أفكار يواقيم الفلورى — المترجم] .

بسبب ما فيها من تناقض باطن . فإن هذه النبوءات لا تؤمن بالرموز التى تريد منا أن نقدر مستشرقيها المزعومين . ففى سنة ١٩١٧ خُيِّل إلى المكتب العربى البريطانى فى القاهرة أنه يستطيع أن يؤيد ويزكّى هجوم جيش اللِّنبى Allenby على القدس باستغلال هذه المصادفة وهى أن اسم اللِّنبى بالخط العربى يمكن أن يقرأ أيضاً « النَّبِىّ » ويتنبأ بالاستيلاء على المدينة (مدينة القدس) . لكن العالَمَ العربى لم يستسغ إلا نادراً هذا « النبى » الكاذب الساذج ، هذا « النبى » رغم أنفه ، الذى لم يعمل شيئاً ، مَثَلُهُ مَثَلُ « الدجّال » ، غير أن أتى باليهود فأقطعهم القدس غير حافل بمسيحهم[1] .

— ٢ —

وفكرة « الإنسان الكامل » قد بدت فى تاريخ مذاهب الإنسانية من عهدٍ موغلٍ فى القدم . وكتب المتون فى الدين المقارَن ، وقد جعلت نقطة ابتدائها من أساس سكونية (استاتيكية) آرية ، إنما ترى فيه خصوصاً أنه « الإنسان الأول » و « الجيومرث » عند المزدكية ، و « آدم قدمون » فى كتب القبالة اليهودية ، و « الإنسان القديم » عند المانوية المستعربة . وعلينا أن نعترف بأن ضرباً من وحدة الوجود العقلية الإسلامية قد انتهى ، فى عهد متأخر ، إلى تكوين تصور « للإنسان » على أساس أنه « إنسانُ عين الوجود » ، فأحلّ محل « الكلمة » المتجسّدة عند النصارى « صورةً نموذجية » هى الأثر المعقول الذى تركه الخالق فى المخلوق ، مع وضع نوعٍ من الاقتران المجرّد بين كليهما (على حساب العلوّ الإلهى) ؛ وهذه « العين » ، هى النبى محمد ، هذا النور النبوىّ الأزلى الذى يقال إن الله قال له : « كونى ! فلولاك ما خلقتُ السموات[2] » . وفى هذا قولٌ بنوع من الحَمْل الطاهر للأمة المحمدية للمُصْطَفين (ونحن نعلم فى الواقع أن القرآن [سورة آل عمران : ٣١] لا يقول هذا إلا عن عيسى ومَرْيَم) ، دون أن يناظر هذا الدورَ الأزلى (للنبى محمد) دورٌ أُخْروى نهائى . فبينما نجد فى المسيحية أن هذا النوع (من الحَمْل الطاهر) لا يوجد

---

(١) [كلمة مسيح هنا مستعملة بالمعنى الأصلى لها عند اليهود ، وهو البشير الذى تنبأ بظهوره أشعيا ، وخصوصاً سفر دانيال الذى تنبأ بمسيح ، أو بشير ، يتبدى فى الغمام ويلبس ثوب الناسوت ، وقد وكلت إليه مهمة حكم العالم وحسابه (راجع سفر دانيال ، أصحاح ٧ : آيات ١٣ وما يليها) — المترجم] .

(٢) [الخطاب موجه إلى قبضة النور التى منها خلق النبى والأمة الإسلامية عامة — المترجم] .

إلا مرتبطاً بالدور النهائى « للحاكم المخلص » (= يسوع) ، فإننا نشاهد عند هؤلاء المسلمين القائلين بوحدة الوجود أنه لا يتضمن مطلقاً أن النبى (محمداً) هو الحاكم فى يوم الحساب (الأخير) . ولما كانت النهاية المبرمة ، عند الساميين ، عنصراً جوهريا فى فكرة « الإنسان الكامل » ، فإن خلو النظرية الواحدية القائلة بـ « عين الوجود » (الإسماعيلية ، ابن عربى) من الطابع الديناميكى النشورى قد سلبها كلَّ تأثير فى التطور الاجتماعى للعالم الإسلامى ؛ وهذا من شأنه أن يعفينا ، هنا ، من تمحيصها بالتفصيل ؛ وهى قد انبثقت عن تأليه فلسفى « للعقل الفعّال » ، مع أن « الإنسان الكامل » الحقيقى الذى ينتظره المسلمون هو نوع من البشير (un Messie) .

وهنا يتدخل الاعتراض التقليدى ، ألا وهو : أليست الفكرة اليهودية عن البشير (المسيح) ترجع إلى أصل إيرانى ، وتبعاً لهذا إلى أصل آرىّ (ريتسنْشتين Reitzenstein) ؟ والفكرة الديناميكية الإسلامية عن الإنسان الكامل ألم تكن ، منذ البداية ، ذلك « المهدى » المنتظر الذى قالت به الشيعة الإمامية ، وهم كان معظمهم من الموالى الداخلين فى الإسلام وكانوا من الفرس ، وبالتالى كانت هذه الفكرة آرية الأصل ؟

أجل ، إن التاريخ الإيرانى كله فى العهد التالى للعهد المزدكى قد نمّى نزوعاً خارقاً إلى العدالة (المُخَلِّصون المنتظرون ، سأوشينت ، مِتْرا ، بَهْرام ؛ سروش ، « الرُّسُل » legati المانوية). لكن يلاحظ مع ذلك أن إيران قد ضمّت دائماً عنصراً ، طبقة من الكُتّاب المُسْتَسامِيين[1] ، من الممكن جداً أن يكونوا هم الذين ألهموها هذا المعنى فى القرن السادس قبل الميلاد ، وهو العصر الذى نمت فيه النزعات القائلة بالبشير (Messie) ، تحت تأثير « المنفى » ، فى الجالوت (= الجالية) البابلى ، بين أولئك المشرّدين الذين أُجْلُوا عن أرض الميعاد ؛ وإيران فى ذلك العهد قد تكشفت عن تسامح وتفهُّم للنزعات القائلة بالبشير الناشئة آنذاك حتى سمحت بالعَوْد إلى القدس وإعادة بناء الهيكل . كذلك نشاهد منذ فجر الإسلام نشأة الفكرة البشيرية ، فى اليمن العربية ، لابسةً الفكرة القائلة « بمخلِّص » منتظر « يعيد العدل إلى نصابه » ، فى صورة القحطانى ذى العصا ، « منصور اليمن » ؛ ولما كانت الجاليات

---

(١) [sémitisés أى الذين صاروا ساميين أو كان قد كانوا كذلك ، كما تقول : عرب عاربة ، وعرب مستعربة — المترجم] .

اليهودية والإيرانية ، وكانت موفورة العدد آنذاك فى اليمن ، لم تندرج ، عن طريق الولاء ، فى القبائل العربية إلا بعد إسلامها ، ولما كان هذا القحطانى ، منصور هذا ، قد عُدّ ، على التوالى ، كما فعل بنو كندة بالنسبة إلى ابن الأشعث ، وكما فعل بنو همْدان بالنسبة إلى دعاة الشيعة (عبد الله بن سبأ ، منصور القرمطى) ، و بنو الحارث (بلحارث) بالنسبة إلى أحد الأئمة الكيسانية العباسيين (السّفّاح ابن الحارثية) ، فإن هذه الصور الإجمالية « للإنسان الكامل » المسلم تبدو لنا عربية صريحة .

ثم قامت بعد ذلك بزمانٍ ، فى موازاة وحدة الوجود الإسماعيلية التى ذكرناها ، محاولةٌ للتوفيق الهرمسى من أجل التوحيد بين « عين الوجود » وبين الحاكم يوم الحساب ، وهو أغاثاذيمون المذكور عند الهرمسيين اليونانيين الواردين فى « رسائل » إخوان الصفا ؛ كذلك نشاهد أبا سليمان السجستانى[1] يقول بأن السعادة العظمى هى فى الوصول إلى مرتبة «الطِّباع التامّ » الذى يَخلع عليه جلالَ الربوبية (الربوبية ، عندالكندى ؛ راجع «الماجد» المنسوب إلى جابر بن حيان ، نشرة باول كْرَوس Paul Kraus) .

لكنّ هذهالقَسِماتِ وأمثالَها من شأنها التضليل . فعما قليل سنشاهد أن النظرية الإسلامية الخالصة فى الإنسان الأول إنما نمت ، هى ومقتضياتها النشورية كلها ، بطريقة محورية ، عن طريق القرآن نفسه ، وذلك بتدبر نصه العربى تدبُّراً سُنّياً مستقيما .

— ٣ —

ولقد تلمس كازانوفا Casanova إثبات أن محمداً كان يعتقد فى نفسه أنه « نبيُّ فناء الدنيا » ، وإذن هو الإنسان الكامل . بيد أنه يلاحظ أن القرآن حينما يقول : « وإنّه لَعِلْمٌ للساعة » (سورة «الزخرف» : ٦١) إنما يتحدث عن عيسى ، لا عن محمد ، وإلا كان فى ذلك وَضْعٌ من قدر إخلاصه فى الإيمان بأن الله مركز الكون (لا الإنسان) ، ومن قدر تعبُّده لما قرأ من قرآن . ماذا ! بل « كلام الله » هذا هو نفسه الذى أمره ، لا بتحقيق فناء الدنيا ، بل بالتذكير بهذا الفناء ، تذكير الأمة الإسلامية بأسلوبٍ أشد وقعاً من التوراة عند اليهود ، والإنجيل عند النصارى . ومنذ القرن الأول صارت « سورة الكهف » تقرأ

(١) السجستانى ، مخطوط كراوس ، الرسالة الثالثة : « فى الكمال الخاص بنوع الإنسان » .

للعياذ من المسيح الدجّال (منظوراً إليه على أنه يأجوج ومأجوج ؛ « سنن » ابن ماجه ، ج ٢ ص ٥١١ ، ٥١٣) . وفى حَجّة الوداع ، بَيّن النبى فى عرفاتٍ شعائر الوقفة بصورة ذات دلالة نشورية غريبة ؛ مع إبقائه على الحج طلباً لغفران الذنوب ، « أدخلَ العُمْرَةَ فى الحج إلى يوم القيامة » ؛ فتجاوز الأفقُ الشرعىُّ « الحَرَمَ » (« صرنا فى الحِلّ ») ، وتجاوز الرِّبا ، والأخذ بالثأر ، واستعباد المرأة ؛ وقربان الفؤاد ، ينطلق ، فى دعاء حُرّ ، إلى طلب المغفرة ، وفى الأفق تتراءى الجنة وقد أُزْلِفَت للمُتّقين غيرَ بعيدٍ وهى تنزل من السماء كالعَرُوس ، مع « نزول الله » (راجع سورة « ق » : ٣٠ ، وقارن ذلك بما ورد فى سفر « الرؤيا » المنسوب إلى يوحنا) . أما محمد فينحاز ، شخصياً ، ينحاز (مثلما فعل إبليس ، كما سيقول الحلاّج) فى داخل نطاق عبادة تغار على العبارة الخالصة للعبادة الأصلية ، تاركاً للتأمل القرآنى عند الحجاج المسلمين الأتقياء مهمةَ تحقيق هذا « الإكمال للدين » فى نفوسهم ، إكمال الدين الذى أعلنه ذلك اليوم (فى حجة الوداع) ، قبل موته المبكر ببضعة شهور ، هذا الموت الذى كان أول « مصيبة » لفناء الدنيا . وهـذا التحقيق هو تقديس « الأبدال » الذين أسلموا كل قيادهم لله مقتدين بإبراهيم .

و إنما استشعر الإسلام الوليد — وقد قَصَّرَتْ الأحاديثُ ذات الطابع الحرفى المُغالى مما جمه جَمّاعو التفاسير والمُسْنَدات — نقول إنه استشعر الأثر الفعال الواهب للقداسة ، أثرَ التأمل الجماعى لنهاية الدنيا ، عن طريق سَنَنٍ للشعائر غريب .

فسرعان ما أدرك القوم ، فى المدينة ، الأهميةَ المنقطعة النظير لإحدى السور القرآنية ، وهى سورة « أهل الكهف » ، فكانت تقرأ للعياذ من (شرّ) الدجّال ، حتى صارت النصّ الشعائرى الثابت الذى يُقرأ منذ ثلاثة عشر قرنا فى بلاد الإسلام كلها فى الصلاة الكبرى الجامعة كل يوم جمعة ، (حديث نافع [1]) . وهنا يشاهد أن أول موضوع تَعْرِض له هذه السورة ، وهو موضوع أهل الكهف السبعة فى أفسوس ، يبيّن كيف أن هؤلاء المؤمنين الفِتْية — وقد أَوَوْا إلى الكهف ، رافضين الارتداد عن دينهم — قد أرضاهم الله وهيأ لهم

(١) نافع : ورد فى « لسان الميزان » ج ٥ ص ١٥٢ . وقد أرسل اثنان من الخلفاء فى القرن الثالث (= التاسع الميلادى) ببعثات إلى كهف أفسوس وإلى سور دربند العظيم (البيرونى : « الآثار الباقية » ص ٢٨٥ ؛ ياقوت : ج ٣ ص ٥٦) .

من أمرهم رَشَداً ، « يُقَلِّبهم ذاتَ اليمين وذاتَ الشِّمال » ، وقد « لَبِثُوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تِسْعا » ، والله أبقى عليهم ليكونوا شهوده يوم الحشر . والموضوع الثانى — وهو موضوع موسى ورسول الله (الخضِر) — يبين لأحد الأنبياء (موسى) أن سرّ الله إنما يتكون من كل أسرار القلوب التى لا يطلع عليها إلا الأولياء ، الواحد بعد الآخر ، وهم فى الحضرة اللدنية (قارن سورة « ق » : ٣٦) . والموضوع الثالث يبين السد العظيم الحافظ للعالم المتمدين ، السد الذى تهدد باختراقه جحافلُ (الترك) يأجوج ومأجوج (= الدجّال) (راجع سورة « الأنبياء » : ٩٦ : « حتى إذا فُتِحَتْ يأجوجُ ومأجُوجُ وهُمْ من كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُون ») .

وفى سائر السور كان ثمت آيات مفردة ذات رنين نشورى ، تشيع الآمال الثورية فى قلوب « المُسْتَضْعَفين » فى الأرض ، وبخاصةٍ « الموالى » (وكانوا غير عرب دخلوا الإسلام ، ويكاد علىٌّ أن يكون هو وحده الذى حماهم ودافع عن حقوقهم) . ففى عهد عُمَر (بن الخطاب) عُذِّب صَبيغُ بنُ عِسْل التميمى لأنه فسّر سورة « الذاريات » (والذاريات رياح السموم التى يعذب بها الكفار) تفسيراً ملحمياً (راجع بعدُ رقم ١٩٦ من « خطبة البيان ») . وفى عهد عثمان قام أبو ذَرّ (الغِفَارى) يعلن اقتصاص الفقراء والمساكين من الأغنياء والمتكبّرين . وذلك النوع العربى الصميم من « المثالب والمفاخر » ، وقد ارتفع من مستوى النزاع بين القبائل إلى المستوى الملحمى الذى نجد نظيره عند دانته Dante وليون بلوا Léon Bloy [1] ، قد اتخذ أحياناً أسلوباً من البلاغة المتهكّمة القاتلة ، يلعن فريقاً ويبارك على فريق آخر ، ويحطم الطابع الجمالى السكونى للأشكال المألوفة ابتغاء إشاعة سَوْرة عظيمة غائية . ولقد قال

---

(١) [ليون بلوا كاتب فرنسى ولد فى بريجيه Périgueux سنة ١٨٤٦ وتوفى فى بورلارين Bourg-la-Reine من ضواحى باريس سنة ١٩١٧ . وبدأ حياته الأدبية وشهرته بنشر كتاب بعنوان : « أقوال مقاول هدام » (سنة ١٨٨٤) هاجم فيه بعنف بالغ أشهر الشخصيات الأدبية فى عصره . وكان حاد اللهجة عنيف الخصومة قوى الأسلوب . اتجه اتجاها دينياً كاثوليكياً وساير باربيه دورفلى Barbey d'Aurevilly . ومن مؤلفاته : « السائل الجحود » (سنة ١٨٩٨) ؛ « الحاج إلى المطلق » (سنة ١٩١٤) ؛ « على وصيد الملحمة » *Au Seuil de l'Apocalypse* (١٩١٦) . ومن رأيه أنه من حيث الملاحم والمصير الأخير لا بد من إقامة حكم الدين ، وحارب أهل عصره لمشاركتهم فى العصر الحديث والمدنية العصرية . وهو عدو لدود للمجتمع البورچوازى : فعارض بالمطلق النزعة العلمانية ، وبرسالة الفقير النزعة النفعية ، وبسر القوى العمياء التى يثيرها الله النزعة العلمانية الديمقراطية . وتقبل نتائج هذا المذهب العملية بكل شجاعة ، فعاش بائساً ، سعيداً بأن يحشر فى زمرة الشعب مؤثراً فيه البساطة والعظمة . ونزعته الدينية تنطوى على كثير من الوحشية والغرابة وروح المفارقة حتى إنها أذهلت رجال الكنيسة — المترجم] .

ترتوليانوس : « فى سفر الرؤيا يجندل نظامُ الأزمنة »[١] .

وعلى هذا النحو تكلمت « روح » الأنبياء فى بنى إسرائيل ؛ لكن اليهود فى ذلك الحين قالوا : « قلوبُنا غُلْفٌ » وأصمّوا أسماعهم («البقرة» : ٨٢ ؛ «النساء» : ١٥٤) ، وقالوا كذلك « يَدُ الله مغلولة » (« المائدة » : ٦٩) ، مع أنهم هم الذين لن يكونوا أحراراً أبداً إلى يوم القيامة . وكذلك فى « رؤيا » يوحنا الموجّهة إلى الكنائس السبع النائمة (قارن أهل الكهف السبعة النائمين) ، نشاهد أن إعلان عَوْد Parousie الحاكم المُنْتَقِم ، والروحِ الطاوية لكل تاريخ الإنسانية المزوّد بالعناية (الإلهية) ، كل هذا قد عبر عنه عيسى بصيغة ضمير المتكلم : « أنا الأَلِف والياء » ، (قارن فى «الإنجيل» : « أنا الطريقة والحقيقة والحياة ؛ أنا الباب ؛ أنا الراعى الصالح ... ») ؛ لكن النصارى فى ذلك الحين ، حتى الرهبان منهم ، لم يرعوا طريقة الله حق رعايتها (سورة « الحديد » : ٢٧) ، بحيث يقدرون على تكوين « أناسٍ كُمَّلٍ » ؛ ومن هنا جاءت خلافاتهم التى لن تنتهى أبدا .

والقرآن ، وهو يتوعد المارين المخالفين ، من اليهود والنصارى ، بالعقاب الإلهى ، لا يعد المسلمين بوعود الخِطْبة[٢] ولا بلوغ القداسة فى العالم الآخر ؛ بل يطوى سِجِلَّ المصير ، بنوع من الارتداد الطاوى إلى الوحى المنزل على إبراهيم ، ويتوعد المنافقين من المسلمين بمثل ذلك العقاب المباشر : « لن يجيرنى من اللهِ أَحَدٌ » (سورة « الجنّ » : ٢٢) ؛ « لا شَخْصٌ أغيرُ من الله » (البخارى ، باب « التوحيد » عند نهايته) .

والنجاةُ فرضُ عينٍ لا يغنى فيها أحدٌ عن أخيه ، وما كان الحجّ فرض كفاية إلا مؤقتا ؛ ولهذا كان على الإنسان الكامل أن يتجنب قانون الأنساب . وهنا الإسلام يَفْضُل اليهودية فى إدراك هذا الجانب ؛ ولهذا فإنه ، أى الإسلام ، يرى فى الإنسان الكامل — من الترمذى حتى ابن سبعين — أنه خاتم الولاية ، روح عيسى : إما على صورة أحد حواريه الملهمين به (المَقْدِسى ج ٢ ص ١٧٢ ، مثل : ابن هود المتوفى سنة ٦٩٩ ؛ قارن عند الدروز الأبدالية : سلمان — حمزة) ، أو على هيئة قيامته أمام الأولياء (ثم الصُلَحاء) وحدهم ، ثم أمام الملأ أجمعين (فى رأى الحلاج)[٣] . وقيامة عيسى للحكم (بين الناس) قد ربطها

(١) In Apocalypsi, ordo temporum sternitur .

(٢) [الإشارة إلى وعد الله للنصارى بخطبته إلى الكنيسة — المترجم] .

(٣) «روايات الحلاج» ، ٢٣ ؛ سورة «النساء» : ١٥٧ .

القرآن ثمانى مرات بكلمة الحضرة : « كُنْ » الخالقة بالنسبة إلى يوم الحساب[١] ، فيكون عيسى مجرداً ، مثله مثل التصور البكر لعذراء طاهر ، أو مثل ذلك الحق الذى هو خاتم الخلق : « لا مَهْدِيَ إلا عيسى »[٢] .

ولقد التاث التفكير الإسلامى مع ذلك أمام هذه الواقعة وهى أن عيسى ، فى مجيئه الأول ، لم يفتح هذا « الخاتم » ، ولم يَعْذِرِ اللهَ فيما كان منه من ترك العادلين يُضْطَهَدُون ؛ كذلك « الإنسان الكامل » حينما يأتى سيكون — بوصفه « الشاهدَ » — غير قابل لأن يقهر ، — وبوصفه ينبوعَ حياةٍ — لا يمكن أن يُقْتَل[٣] . لقد قال : « سيأتى من ينتصف لى » (يوحنا : ٨ : ٥) . أسيكون ثمت شخص آخر ، تلهمه روح عيسى ، هو الذى يشيع العدالة المنتقِمة التى يتطلب الإسلامُ ، فى جهاده الدينى المقدس ، مجيئها ؟ «أنا عيسى الزمان» ، هكذا تقول ترنيمة شيعية على لسان علىّ (راجع بعدُ فى تحليل «خطبة البيان» رقم ٢٦٠) . وإن أقلية نامية من غلاة الشيعة ليجعلون من هـذا « المنتقم » (للمظلومين) غير المذكور اسمه (« القائم» ، « المُنْتَظَر » ؛ « المَهْدِى ») واحداً من بيت الرسول ، أى فاطميا ، علويا .

ويؤكد البلاذُرى (« الأنساب » ، راجعه فى « مجلة الدراسات الشرقية » RSO ج ٦ ص ٤٩٥) أنه منذ موت على فإن أربعة من غلاة شيعته[٤] قد تناقلوا عنه خطبة غريبة . وأيًّا ما كان الأمر ، فإنه ، منذ ١٢٠ هـ ، تناقل القوم « خطباً » ذوات قيمة ملحمية نسبت إلى علىّ ، و « وصيةً » ، و « جَفراً » (والجَفْر نوعٌ من التفسير الملحمى للقيم العددية للأحرف الساكنة الواردة فى أوائل كثير من السُّوَر القرآنية) .

---

(١) القرآن : ٢ : ١١١ ؛ ٣ : ٤٢ ، ٥٢ ؛ ١٦ : ٤٢ ؛ ١٩ : ٣٦ ؛ ٣٦ : ٨٢ ؛ ٤٠ : ٩٧ ، (فى رأى مقاتل ، راجع كتابنا « مجموع نصوص » ، ص ١٩٧ ؛ « عذاب الحلاج » ، ص ٥٢٠) .

(٢) « لا مهدى إلا عيسى » : حديث الشافعى (الحسن البصرى ، بطريق محمد بن خالد الجندى) ؛ الذهبى ، « ميزان الاعتدال » ج ٣ ص ٥٢ ؛ « لسان الميزان » تحت اللفظة ؛ السبكى ، « الطبقات » ج ١ ص ٢٨٠ — ص ٢٨١ ؛ ابن خلدون ، « المقدمة » ٢ ، ١٨٨ — ١٨٩ ، ١٩٤ ؛ القندوزى ، « الينابيع » ، ص ٤٣٤ ؛ القنوجى ، « الإذاعة » ص ٦٤ ؛ وفى سنة ٧٤٩ جعل فى معارضة أحد الشيعة (مهدى سبأى) ، ولـكن السلطة لعيسى وحده ؛ ولقب « السفاح» هو لقب ملحمى أطلقه الشيعة على علىّ . قارن الأسماء الملحمية التى تلقب بها العباسيون (المنصور ، المنتصر ، المهدى ، القائم) عند الخطيب البغدادى (« تاريخ بغداد » ج ٩ ص ٣٩٩) وعند ابن خلدون (ج ٢ ص ١٨٣) .

(٣) على وفاء ، أورده الشعرانى فى « لواقح الأنوار القدسية » ، تحت اللفظ .

(٤) حجر بن عدى ، عمرو بن الحمق الخزاعى ، حبة بن جوين البجلى ثم العرنى ، عبد الله بن وهب الهمدانى (= ابن سبأ) ؛ قارن أصبغ ، الحارث الهمدانى ، رشيد الهجرى (ليقى دلائيدا) .

والجفر إذا استخدم فى مسألة « الإنسان الكامل » فذلك إما للقول بأنه هو « الميم » (= ٤٠ = محمد) ، أو « العين » (= ٧٠ = على) ، أو « السين » (٣٠٠ = سَلْمان ؛ عيسى ؟) . وفى رقمى ١٤٤ و ١٤٨ (بعدُ فى تحليل « خطبة البيان ») ينظر إليه على أنه هو قيامة عيسى فى نظر المسلمين . وأخيراً نقول إن « الصَّيْحة بالحق » ، تلك الصيحة الكونية ، (القرآن : سورة « ق » : ٤١) ، وهى صيحة نوح وصالح ، هى الأصل فى قول الحلّاج : « أنا الحق » ، وهذا القول صرخة ثورة أشعلت نار ثورة الأتراك ، وليس فكرة سكونية (استاتيكية) .

— ٤ —

ولنأخذ الآن فى الامتحان التفصيلى للعناصر الثلاثة المُمَيِّزَة لهذه النصوص الملحمية التى استعين بها فى وصف مجىء « الإنسان الكامل » ، خلال الأزمات والمصائب .

ولنبدأ بالجَفْر ، هذا الاستخدام العددى للحروف القرآنية المنفصلة (وهو تفسير الإمام جعفر الصادق ، فيما يرى هارون بن سعيد العِجْلى ، راجع « مقدمة » ابن خلدون ج ٢ ص ٢١٤) . فالإسماعيلية والدروز قد أبرزوا الجانب السرّى فى طائفتين من الحروف الاستهلالية الخماسية فى سورتى «مريم» (كهيعص) و «الشورى» (حم عسق) ، وسموا الطائفة الأولى (كهيعص) باسم « حروف الصدق » ، والطائفة الثانية باسم « حروف الكذب » (ضد النصيرية الذين يقرأون الطائفة الثانية هكذا : ثُلاث عين — ميم — سين هو الحق) (قارن فى العبرية : « أمث » ، الحق = خاتم الله ، فى «تلمود أورشليم» ١٠ : ١٠ ، و«التلمود البابلى » : شبت ٥٥ ا ، « تلمود أورشلمى سنهدرانى » : ١٨ ا ؛ أدين بهذه الإشارة إلى ف . فيشل W. Fischel) . والعدد الأول = ١٦٥ ، والثانى = ٥١٨ ؛ ويمكن أن يتدخلا معاً فى التاريخ الصوفى لعذاب الحلاج (بوصفه « الإنسان الكامل ») من أجل سلامة بغداد ؛ لأن الحديث المشهور الذى رواه أرطاة (أورده نعيم المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، والطبرى) يجعل الطائفة الثانية (٥١٨) تاريخ تخريب المدينة المزدوجة ، مدينة بغداد (وهى فى الواقع قد أُسِّسَت سنة ١٤٤ هـ ، ودُمِّرَتْ ، بوصفها العاصمة ، فى سنة ٦٥٦ ، ونقلت الخلافة منها إلى القاهرة فى سنة ٦٦٢ هـ ؛ و ١٤٤ + ٥١٨ = ٦٦٢ ؛ وقد قرأ الحلاج وهو يجود بنفسه « آيته »

وهى الآية ١٧ من سورة « الشورى » : « يَسْتَعْجِلُ بها الذين لا يُؤمنون بها ، والذين آمنوا مُشْفِقُون منها ويعلمون أنها الحقُّ ، ألا إنّ الذين يُمارون فى الساعةِ لفِى ضَلالٍ بعيدٍ) . والطائفة الأولى (١٦٥) إذا أضيفت إلى ١٤٤ يكون حاصل الجمع ٣٠٩ وهى سنة وفاة الحلاج (= أيضاً طا + سين = ٩٠٣ ، وهو مجموع الأحرف الاستهلالية القرآنية ، وهو ٣٠٩ مقلوباً) و ٣٠٩ هو عدد « تجوهر الخليل » (الششترى) ، وعدد سنوات رُقاد أهل الكهف (سورة « الكهف » : ٢٤) . وقد استخدم ابن أبى واطيل ، من تلاميذ ابن سبعين ، الطائفة ٦٨٣ (خا — فا — جيم) ، ثم ، تبعاً للكندى الطائفة ٩٨ (صاد — حاء) ، فحصل على السنة ٦٩٨ وجعلها سنة قيامة المسيح (عيسى) الذى رأى عامر البصرى الصوفى أنه فى تلك السنة تحقق فى شخص المهدى الكاذب الأردستانى (المتوفى سنة ٦٩٩ ؛ على أساس أن الإسلام سيبقى ٦٩٣ سنة فى رأى الكندى) .

ويتلو هذا أن نتحدث عن موضوعات المصائب اليهودية المسيحية : «الفتن» ، «أشراط الساعة »[1] ، وهى موضوعات أعاد القرآن ذكرها وركزها وأوضحها على أسلوبه الخاص : طوفانات المياه ، أمطار من نار ، مذابح فى أماكن العبادة . ويميل القرآن إلى إهمال الطواعين . ومن بين علامات السماء يحتفظ بالقمر (العُرْجون [الإشارة إلى الآية ٣٩ من سورة يس : « والقمر قدّرناه مَنَازِلَ حتى عاد كالعُرْجُون القديم »]) . ويعود دائماً إلى الكوارث المفاجئة فى الماضى ، مُسَجّلاً طابعها الدّوْرى المتردد بانتظام فى تهديداتها الملحمية . فالطوفانات تُغْرق مدن الفساد والضلال (فالكوفة أصيبت بفيضان « تنور » الطوفان الذى كان عقاباً عن دعوى نكاح الجن قرب سِجْن المَلَكَين ببابل : هاروت وماروت اللذين أغوتهما نهيد ، سورة «البقرة» : ٩٦ ؛ — أما البصرة فستطمر فى الأعماق — بعد أن عوقبت سنة ٨٦٨ — لأنها لم تستمع لنداء غلام خليل الحنبلى الذى دعاها إلى الطاعة والتوبة ؛ قارن هذا بمدينة مرسيليا التى أنذرت بعد الطاعون) . وأمطار من نارٍ تدمر العواصم التى

---

(١) نعيم بن حماد : « كتاب الفتن » ، مخطوط الاسكوريال ج ٢ رقم ١٥٣٦/١٥٣٧ ؛ وقد اختصره العز المقدسى ، مخطوط عاطف رقم ٦٠٢ (مجلة الحضارة الإسلامية *Isl. Cult.* ج ٣ ص ٣٦١) ابن المناوى (المتوفى سنة ٣٣٤) : « كتاب الملاحم » ؛ وقد انتفع بها السيوطى فى « العرف الوردى فى أخبار المهدى » (ورد فى « الحاوى » ج ٢ ص ٥٧ — ص ٨٦) .

تعصى الله (سدوم ، عاد ، ثمود ، مَدْين ؛ والإنذار الموجه إلى بابل فى سفر « الرؤيا » ، وهو صدى لدمار برج بابل ، يقصد روما ولندن و باريس) إشارة من صيحة كبرى ، كما حدث بالنسبة إلى نوح وصالح ، كذلك مدينة بغداد المزدوجة ، هـذه « المدْهَامّتان » الأرضية ، قد أنذرت منذ البداية (حديث أرطاة[1]) بخرابها (قارن نهب المغول) ، وقد صاح الحلاج صيحتها المتوقعة (« الصيحة » ضد « البُشْرى ») .

وفى المذابح التى تخرّب فيها مدن العبادة ، تتحدث الملاحم عن رمز يعالج القرآن إيضاحه فى مقصدين .

فكما أن أورشليم قد عوقبت وخُرِّبت ، فمكة كذلك ، أو الكعبة على وجه التخصيص ، سيلحقها الدمار . و بينما نشاهد أن سفينة العهد قد قذف بها فى بحيرة طبرية(أو عند أنطاكية) ، نجد أن حجة الوداع التى قام بها الرسول كانت لتهيئة الدمار الرمزى للكعبة . فالنبى بإدخاله العُمْرة (— وهى مجاورة الحرم للعبادة والنسك) فى الحج (— تقديم الضحية على عرفات) إلى يوم الحساب[2] ، قد أراد أن يفهم الناس أن البيت الذى نكون فيه أمام الله فى إحرام ، أعنى بَدَنَنَا ، يجب أن يُدَمَّر فى نفس الوقت الذى تذبح فيه الضحية ، وذلك فى اللحظة التى نقدِّم فيها أنفسنا فوق عرفات كأنها « الذِّبْح العظيم » الذى ترمز إليه الأضاحى التى نذبحها من الحيوان ، فنستحيل آنذاك ، وفى مقابل هذا ، كما يرد فى رقم ١٠٥ من « خطبة البيان » ، إلى « مائدة الكشف » ، أى مائدة الوَجْد المواسِى (قارن : الطمأنينة[3]) ، وهى العلامة التى تواسى المسيحيين الصادقين حتى يوم الحساب ، المتمثلة فى شعيرة «العشاء الربانى» التى أعطيت فى مستهل « العذاب[4] » المُدَمِّر . وفى هذا نرى أنه كما أن الإسلام قد رد « التغطيس » (المعمودية) إلى معنى « الفطرة » ، أى إلى نور فطرى أصيل ، فإنه كذلك يتراءى له « العشاء الربانى » كعلامة نشورية ، أى على أنه الإكمال العقلى لنوع معقول

---

(١) الخطيب البغدادى : « تاريخ بغداد » ج ١ ص ٤٠ ؛ الطبرى ، تحت المادة ؛ وراجع ما أورده المقدسى ج ٤ ص ٩٧ — ص ٩٨ خاصاً بخراب مدن أخرى نقلا عن مقاتل .

(٢) الحلبى : « إنسان العيون فى سيرة الأمين والمأمون » (المعروف « بالسيرة الحلبية ») ج ٣ ص ٢٩٧ ؛ ابن تيمية : « الرسالة السبعينية » ص ٩٣ .

(٣) مواساة تثبت قواعد الصلاة فى الله (الشافعى) .

(٤) [العذاب Passion أى عذاب صلب المسيح وما تقدمه وأحيط به من آلام عاناها — المترجم] .

يواسى مواساة إلهية (الطمأنينة عند النصارى — السكينة عند اليهود) . وفى الكتاب الذى بعث به الحلّاج إلى شاكر بن أحمد ، فى الوقت الذى تهيأ فيه الثوار القرامطة لذبح أهل مكة وتدمير الكعبة ، كتب يقول له بأن « يهدم الكعبة (هى ومعبد بدنه) ، ويبنيها بالحكمة (الميلاد الثانى) : حتى تسجد (أى الكعبة) مع الساجدين ، وتركع مع الراكعين[1] » . وبينما كان أصحاب التفسير الحرفى فى عصره لا ينشدون فى النبوءات الخاصة بخراب مكة إلا إمكان رؤية هزيمة الحَبَش فى سنة ٥٧٠ قد عوضت بحبش آخرين ، لعلهم القرامطة ، فإن الحلاج قد تحقق له أن البعث المجيد لهيكل بدنه يتوقف على حَبّة خردل (= بُضْعة من بدنه المُحْرَق قرباناً لله) ، فأفضى عن هذا الطريق بالرموز النشورية لحجّة الوداع للنبى إلى تمام غايتها .

وهذا التشخيص للكعبة فى شخص الإنسان الكامل يقودنا إلى ملاحظة أن موضوعات « الملحمة » الكبرى (= هجوم النصارى الروم على الإسلام ، هجوما يبدأ بنقض الهدنة ، وينتهى بالاستيلاء على القسطنطينية) تُفْضِى أيضاً إلى رسم صورة جانبية لهذا « القائم » ، هذا الزعيم الذى ينتصف للظلم ، وسيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً . ولمعرفة هُوِيَّته ، جرى ما جرى بالنسبة إلى الضحية التى طُلِب من إبراهيم تقديمها ، فقد رأى الإسلام (ابن حنبل) فيها أولاً أن المقصود هو إسحٰق ، ثم نزعه عرق العنصرية فرأى فيها إسماعيل . أما فيما يتصل « بالقائم » ، فقد أجمع أهل السنة أولاً على أن يَرَوا فيه أنه هو عيسى الذى سيعود ظافراً — لا متحملاً للعذاب والآلام — ، أو زعيما لا يُقْهَر تهبط عليه روح عيسى ، ويهتدى بهدايته ، إن لم يكن هو عيسى نفسه : وفقاً للحديث المشهور الذى رواه الحسن البصرى والشافعى ، وهو حديث يسمح بهذين التفسيرين ، ونعنى به : « لا مَهْدِىَّ إلا عيسى » . وإلى جانب أهل السُّنّة ، نرى فريقاً من الشيعة فى القرن الثانى (المستنيرية ، والمنصورية) وقوماً من المعتزلة فى القرن الثالث (أحمد بن خابط ، والفضل الحدَثى) قد اعترفوا بهذا الحديث فى مضمونه ، إن لم يكن فى صورته التى تُشتم فيها روحُ المناظرة والجدل العباسى ضد الشيعة . وعند نهاية القرن الثالث كان لا يزال يقول بصحّته نفر كبير من المُحَدِّثين السُّنّية : ابن ماجة ، وابن

(١) ابن دحية : « النبراس » ، ص ١٠٣ : « اهدم الكعبة وابنها بالحكمة حتى تسجد مع الساجدين وتركع مع الراكعين » .

خُزَيْمة (المتوفى سنة ٣١١م) وابن زياد النيسابوري، وابن أبي حاتم الرازي (المتوفى سنة ٣٢٧)، والساجي البصري (المتوفى سنة ٣٠٧)، والقزويني قاضي دمشق (المتوفى سنة ٣١٥)، والطحاوي من القاهرة (المتوفى سنة ٣٢١)، ويعقوب الاسْفَرائيني (المتوفى سنة ٣١٦)، والطرائفي.

وهذا العِرْق المتصل من التفكير الإسلامي في « هداية عيسى »، الذي بدأه التِّرْمِذي، قد استمر بعد ابن عربي؛ ففي مراكش، منذ قرنين، كان ثمت مدرسة بأكملها، من أبي مهدي عيسى الثعالبي (المتوفى سنة ١٠٨٠؛ راجع: الكتاني، « فهرس »، ج ٢ ص ١٩١)، حتى محمد الصغير بن عبد الرحمن الفاسي (المتوفى سنة ١١٣٤) وتلاميذه (الإفراني المؤرخ المتوفى سنة ١١٥١، ومحمد أبو عبد الله بن ناصر الدرعي التمغروتي (التمجروتي) المتوفى سنة ١١٥٨) كل أولئك كانوا يرون أن هذا الحديث معناه أن عيسى (روح الله) هو الشيخ الهادي إلى الطريقة المثلى في الحياة، وأن هذا هو « مجيء الإنسان الكامل ».

لكن إذا كان شخص بمفرده، في القرن الأول، وهو ابن سيرين، قد آثر أن يرى في « القائم » أنه « القحطاني »، — فإن أقلية متزايدة من الشيعة قد رأوا فيه عَلَوياً، ثم حصروه في نسل فاطمة؛ وهذا الاعتقاد قد صار منذ تسعة قرون الاعتقاد السائد عند أغلبية المسلمين.

وهذا « الفاطمي » (أي الذي من نسل فاطمة) شابٌّ من السلالة الشرعية (أهل البيت) فرّ وأخفاه أتباعه (فترة « الكهف »، في سورة « أهل الكهف »، عند الإسماعيلية)؛ وهذا « العائد » قد أعلنت خلافته رغما عنه، وحكمه الحربي لن يستمر أكثر من تسع سنين. ويظن فريقٌ أنه سيكون ثمت مهديون ثلاثة[1] قبل مجيء « الدجّال »، كما سيكون ثمت ثلاث « كرّات » « للرجعة » (البعث) التي ستنتصف (للمظلومين) من الظالمين أمام الملأ: والمهدي الثاني هو الحسين (= المُنْتَصر) أول الشهداء ونموذجهم الأصيل، والمهدي الثالث هو أبوه عليٌّ (= السَّفّاح). وسواء اتصل الأمر بهزيمة الروم (— بنو الأصفر)، التي

(١) مهدي الخير، مهدي الدم، مهدي الدين؛ وكذلك ثلاثة سفيانيون « كما في سفر دانيال » (السيوطي: « الحاوي »، ٢، ٨٤، ٧٨)؛ ٣ « رجعات لعيسى » (محمد بن حامد الترمذي، أورده الشعبي: « الجوهر الفريد » ورقة ٣٢ ب مخطوط، القاهرة مجموع رقم ٢٢٩)؛ ٣ خسفات (ابن ماجه: ج ٢ ص ٥٠١).

أشار إليها القرآن ، (سورة « الروم » : ٢٢١ ، فى عهد كسرى ، — ومن هذه الإشارة سيستنتج ابن برّجان استرداد أورشليم ، وذلك قبل استردادها فعلا فى سنة ١١٨٧ (من أيدى الصليبيين) بخمسين سنة ، — أو اتصل بالاستيلاء على القسطنطينية « بفضل الصلوات ، لا بالسيوف والرماح » (ابن عربى : « عَنْقاء مُغْرِب » ، طبع سنة ١٣٥٣ ص ١٠ ، ٦٨) وهو استيلاء وعدت به الأحاديث قبل ذلك بستة قرون (قارن سورة «البقرة» : ١٠٨ [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ منع مساجد الله أن يُذْكَرَ فيها اسمُه وسَعَى فى خرابها ، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ، لهم فى الدنيا خِزْىٌ ولهم فى الآخرة عذابٌ عظيم »]) ، لكن الأحاديث تتردد فى نسبته إلى « القائم » نفسه أو إلى شاهد ثانٍ (يشبه أن يكون مزيجاً من الشاهدين المذكورين فى « رؤيا » يوحنا ، والشجرتان الزيتونتان المباركتان الوارد ذكرهما فى تلك الرؤيا قد ضما فى واحدة فى الآية ٣٥ من سورة النور [الله نور السموات والأرض مَثَلُ نورِه كمشكاةٍ فيها مصباحٌ ، المصباحُ فى زجاجة ، الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرِّىٌّ يوقَد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ ، لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ ، يكاد زيتُها يضىء ولو لم تمسَسْه نارٌ ، نورٌ على نورٍ يهدى الله لنوره من يشاء »]) . وهذا الشاهد الثانى ليس هو مع ذلك « الإنسان الكامل » تماماً ، وذلك لأنه الروح الطاهرة ، والعبد الصالح (الخضر — إيليا) الذى سيُهْزَم ويُسْتَشْهَد . وإنما سيبدأ بأن يكون المُضْطَهِد ، وحامل اللواء ، لواء الفتنة فى بلاد الترك ، على رأس جيوشٍ ألويتها سود (قارن ألوية العباسيين ؛ أو خمسة ألوية : أبيض وأزرق وأصفر وأحمر وأخضر ، عند الدروز) ، فيطرد السُّفْيانى (وألويته الخضر معلَّمة بعلامة الصليب) وأعوانه الكلبيين (من بنى كلب) ، ويلحق بالأبدال السبعة فى الحجاز (أو السبعة الراقدين فى الكهف : وقد جاءوا من بَيْسان) والعصائب الأربعين (الآتين من العراق) لمبايعة القائم (أو المهدى) . وينتهى دور الشاهد الثانى بموته أمام القدس . واسمه يختلف بحسب المصادر : القحطانى ، أو المنصور ، أو شُعَيْب ، أو المولى التميمى . وأصله من طَالقان (فى جُوزجان[1] ، وهذا هو الأصل فى فتنتين ملحميتين ، حدثتا فى سنتى ٢١٩ ، و ٣٠٩)

---

(١) فيما يتصل بحديث طالقان ، راجع المقدسى : « البدء والتاريخ » ج ٢ ص ١٥٧ ؛ « أخبار الحلاج » ص ٤٨ . باريس سنة ١٩٣٦ ؛ القندوزى : « الينابيع » ص ٤٤٩ . (قارن ابن بابويه « الإكمال » ص ٢٥٩) .

وإلى جانبه يذكر ، بمثابة الجنود الأوَل للقائم ، موقع متقدّم سيُخسف (ثلاث مرات) فى الحجاز ، والصفوة المكونة من ٣١٣ نفر (وهو عدد أصحاب جدعون[١] — طالوت ، وعدد المنتصرين فى موقعة بدر) .

و بعد القضاء على النصارى يبدأ الجهاد ضد اليهود وقد تزأسّهم « الدجّال » (= المسيح الدجّال ، التصوير العبرى للمسيح المضاد للمسيحية ، وآخر سلسلة من ٢٧ صاحب بدعة ؛ = « ابن أُسْقُفّ وراهبة عبرية » ، كما يرد فى نصٍّ مسيحى مشهور) ؛ وسيفعل من المعجزات ما فعل عيسى ، ويحتل الصحراء وجميع موارد المياه العذبة (طبرية ؛ بيسان ، زُغَر) ، ويرد الناس إلى دينه ، ويحاصر المدينة (مُعَسْكِراً فى الظريب الأحمر = الكثيب الأحمر[٢] ، مكان المباهلة) ومكة والقدس وشبه جزيرة سينا . هنالك ينزل عيسى ، أو زعيم حلّت فيه روح عيسى ، ينزل من السماء على المئذنة البيضاء فى شرق دمشق[٣] ، وينتصر على الدجّال ويقتله فى اللُّدّ[٤] ، ويذبح الخنازير ، ويحطم الصليب . والأحجار والأشجار (إلا الفَرْقَد) تعينه على القضاء على كل اليهود الهاربين (واليهودى يعنى هنا ، وفقاً للفقرة ١٨ من عقيدة الدروز ، المسلمين السُّنّيين الحرْفيّين) . ويلاحظ أن هذا الوصف القديم فى تعارض مع تاريخ « القائم » الفاطمى . ويلوح أن الخصيبى ، وهو شيعى ، يخلط بين الدجّال و بين السُّفْيانى الذى يسميه « عثمان بن عنبسة الغمريت » .

ومسألة أخرى عتيقة (« فى رؤيا » يوحنا) هى مسألة « الدابّة » ، وهى هنا ذات دلالتين (وأحياناً يقال إنها علىّ) ، الدابّة التى بين الدخان والنار (التى تعلن يوم الحساب و) التى تضىء من عَدَن حتى بُصْرى (أو من أصفهان حتى بُصْرى) .

---

(١) [أحد قضاة بنى إسرائيل . حطم فى أورفا المذبح والحطب الخاصين بعبادة البعل . ودعا الشعب إلى حرب أهل مدين والعمالقة الذين ذبحوا إخوته . فانتصر فى يوم مشهور من أيام إسرائيل يعرف بيوم مدين . وقد خلف سبعين ولداً ذبحهم جميعاً ، إلا واحداً هو يوثام . أيملك وهو أخوهم غير الشرعى — المترجم]

(٢) ابن ماجة : « السنن » ج ٢ ص ٥١٤ ؛ راجع بحثنا عن « المباهلة » ، باريس HE (SSR) سنة ١٩٤٤ — سنة ١٩٣٤ ، ص ٢٤ . هنالك يعود الاسلام « غريباً » (ابن ماجة ج ٢ : ٤٧٧ ؛ راجع بحثنا عن « سلمان » سنة ١٩٣٣ ص ٤٢) .

(٣) [هى المئذنة الشرقية فى الجامع الأموى بدمشق ، وتعرف باسم مئذنة عيسى بسبب هذه الأسطورة — المترجم .]

(٤) أو فى عكا (« الفتوحات » : ج ٣ ص ٣٦٤ — : الملحمة الثانية = أرماجدون) .

وفى نفس الوقت الذى يقع فيه هجوم الشاهد الثانى ، يَدُكُّ سورَ يأجوج ومأجوج « قومٌ وجوههم كالمَجَانّ المُطْرَقة ، صغائر الأعين ، خُنْس الأنوف ، يلبسون الشعر » ، وقد قيل إنهم الترك ، وذلك قبل القرن التاسع[١] . وأخيراً ينسب إلى « القائم » بعثٌ اقتصادى شامل يمتاز إما بفيض المعادن النفيسة (يفيض نهر الفرات[٢] ذهباً) فى كنزه بالكوفة (بمسجد سَهْلة) ، أو بضرب نقود سليمة جديدة : نقود من الفضة مكعّبة الشكل (لبنة فِضّة) تسد آخر ثُغْرة فى سور الإسلام ، وإكمال الزكاة ؛ والحلاّج وابن تومرت وحدهما هما اللذان جعلا هذا « الدرهم المرَبّع » يُتداول فى التعامل[٣] .

والالتباس الألفى[٤] الذى أناخ بكلكله على التأويل المسيحى لـ « رؤيا » يوحنا فيما يتصل بالملكوت الظافرة للمسيح قبل يوم الحساب ، ينيخ كذلك على التفسير الإسلامى للبعث الاجتماعى الذى سيقوم به « القائم » قبل « يوم القيامة » . والنبوءة المشهورة النشورية المتعلقة بطلوع الشمس من المغرب ، مما يعنى ختام المغفرة ، وحكم العدالة المنتقم ، أفلا يفتح هذا مباشرةً على الأصول الكبرى ؟ إن الأصول الشيعية تصوِّر فاطمة وقد تشعث شعرها وتوجهت بوليدها الأخير نحو الشمس ، وليدها مُحَسِّن الذى قتل ولم يؤخذ بثأره : وهذا علامة صبِّها اللعنة[٥] . وفاطمة عند غلاة الشيعة هى « حُمْرة المغرب الذى فيه يُشْرِق الهلال » ، وبدلاً من الهلال ستكون الشمسُ (= ميم) ساعة فجرها الغربى يوم الحساب . ولما كانت فاطمة تُعَد تجسداً ثانياً لروح مريم (وذلك لأنه من حيث العدد = مريم = ٢٩٩) ، فإن

---

(١) أتراك بست (منذ ابن الأشعث = القحطانى ، المسعودى ج ٥ ص ٣٠٢ ؛ الأتراك الداخلون فى الإسلام من سامرا ، أو الغز الكفرة ، أو الصينيون (المقدسى : ج ٢ ص ١٥٤ ، النووى على مسلم ج ١٨ ص ٣٧ ؛ أبو داود ، طبعة سهرنبور ، ج ٥ ص ١٠٦ — ١٠٧) .

(٢) مسلم على النووى ج ١٨ ص ١٨ — ص ٢٠ (قارن بهذا تعذيب الحلاج) .

(٣) سلفستر دى ساسى : مختارات *Chrest.* ج ٢ ص ٢٨٣ تعليق ؛ جولدتسيهر ، « مجلة الجمعية المشرقية الألمانية » ZDMG ج ٤١ ص ٧١ ، ١٠٣ ؛ ابن خلدون : « المقدمة » ج ٢ ص ٥٨ ، ١٩٣ ؛ ابن دحية : « التبراس » ص ١٠١ ؛ « الفتوحات » ج ١ ص ٣٥٥ .

(٤) [نسبة إلى مذهب القائلين بالألفية Millénarisme . ذلك أنه فى القرون الأولى للمسيحية اعتقد كثير من الكتاب ، تبعاً لما ورد فى سفر « رؤيا يوحنا » (٢٠ : ١ — ٣) أن المسيح سيعود إلى الأرض ليحكمها طوال ألف سنة — المترجم] .

(٥) الخصيبى : « الهداية » ، ص ٢٨٧ وما يتلوها ؛ وفاطمة ، « أم أبيها » ، تضع محسن بين ذراعى جده .

« ابتهال » فاطمة يناظر انتصار المرأة التى تمثل كنيسة الشهداء الذين غضبوا لإمهال العدالة الإلهية فى « رؤيا » يوحنا (قارن سورة « المائدة » : ١١٦ ؛ سورة « مريم » : ٣٤) .

وعند مَنْ يقولون إن «القائم» هو مجىء عيسى « مُجَدِّد العصر » ، وشيخ الطريقة المثلى ، فى نفوس الصوفية ، فإن انتصار المرأة هـذا يُمثَّل « بالرفيقة » عروس عيسى فى الجنة ، وهى راعية بدوية تدع الغنم مع الذئاب ترعى : « لاالذئاب تأكل الغنم ، ولا الغنم تفزع من الذئاب » ، شوهاء ، « امرأة بلا يدين ولا رجلين ولا عينين . . . والشاة والذئب فى مكان واحد . . . فإذا بذئب يدلها إلى المرعى وذئب يسوقها » ، ولـكنها فى سلام الله (أبو نُعَيْم : « الحلية » ج ٦ ص ١٥٨ ، ج ١٠ ص ١٧٧ ؛ النيسابورى : « عقلاء المجانين » ص ١٢٤ ، ١٢٩ ؛ شيذلة ، مخطوط الفاتيكان عربى رقم ٣٢ ص ١٥٤ ؛ قارن ليفى دلافيدا : «فهرست مخطوطات الفاتيكان » ص ٢٨١ ؛ لسان الدين بن الخطيب ، « روضة التعريف بالحب الشريف » ، مخطوط الظاهرية تصوف رقم ٨٥ ورقة ١٣٠ ا ؛ ليون بلوا Léon Bloy « حياة ميلانيا » *Vie de Mélanie* ص يو XVI) .

— ٥ —

وهذه المسائل التى ذكرناها كانت مفردة ثم جمعت خلال العصور ، جمعها جَمَّاعون يتفاوتون نزاهةً ، فى كتب على هيئة أشعار الرؤيا تدعى « كتب الملاحم » ، أقدمها منظومة (قارن الأناشيد السيبلية[1] sibyllins اليهودية اللاتينية) ؛ ومن بينها ملحمة مِعْدَان السُّمَيْطى (المتوفى حوالى سنة ١٦٥ هـ) فى المهدى الشيعى (ذكرها الجاحظ وأبو الفرج الإصفهانى) وفيها يرد ذكر الطائر الخرافى « العنقاء » (الذى اختطف الطفل المضطَهَد وصعد به إلى السماء) . وفى القرن الثامن الهجرى ، جاء ابن خلدون يحلِّل الملاحم التى استغلَّتها الأُسَر الحاكمة فى شمال أفريقية أو الطرق الصوفية (مثل القلندرى باجير فى المتوفى سنة ٧٢٤) . ثم تلا ذلك ملاحم مسجوعة (قارن بعدُ «خطبة البيان» ، سادساً) . وأخيراً نجد ،

---

(١) [نسبة إلى الكتب السيبلية أو الأشعار السيبلية التى كانت تحتوى على طائفة من النبوءات والوحى ، كان بعضها قد جرى فعلا فى المعابد والبعض الآخر نبوءات منحولة نسبت إلى أورفيه أو موسيه Musée . وقد انتشر هذا النوع فى القرن السادس قبل الميلاد — المترجم] .

نثراً ، مقالات « متوقّعة » لترجمات حياة (ملحمة بحيرا التى درسها Abel ، ونصوص تركية من القرن العاشر الهجرى درسها دنى Deny) ، هى إما حياة الإنسان الكامل (قارن المسيح ابن داود اليهودى) ، أو حياة شاهِدِه المتعذِّب (المسيح ابن يوسف اليهودى) . ومنذ ١٨٠ هجرية نجدُ نَعيماً (ويؤيده المقدسى : « البدء » ج ٢ ص ١٥٧) يسمى هذا الشاهد ، رأس طليعة البنود السود (وصورته الأولى أبو مسلم فى سنة ١٣٠ هـ) ، يأتى من لدن الترك ، شعيب ابن صالح الطالقانى ، مولى تميم ، وله لحيـة خفيفة ، وشعيب يسبق مجىء القائم (حُسَيْنى ، أو حَسَنىّ زيدىّ ، يأتى من خوتن فى الصين = ماسين) ، ويقتل السفيانى (ذا البنود الخضر عليها علامة الصليب) فى البيضاء قرب اصطخر ، ويعطى المُلْك « للقائم » فى مكة هو والأبدال السبعة ، ويُذْبح كالشاة قبل القضاء على الكلبيين السفيانيين فى بيسان ، وفى وادى النار ، وفى إليا (= القُدْس ») [٢] . وفى إبان حياة الحلاّج كان أهل طالقان يقولون عنه إنه شعيب هـذا . وبعد ذلك بثلاثة قرون رأى فيه الشاذلية أنه الشيخ الحامى لتلمسان ، أى الشيخ أبو مدين (راجع السيوطى ، « الحاوى » : ٢ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥) .

— ٦ —

تحليل « خطبة البيان »

وها نحن أولاء نقدم هاهنا تحليلاً مفصّلاً لـ « خطبة البيان » ، لأنها النص الملحمى الإسلامى الذى كان أوفر النصوص حظاً من التنويع خلال تكوينه الطويل .

وآخر رواية له ، وهى رواية كمال الدين أبى سالم محمد بن طلحة الحلبى (من القرن الثالث عشر) فى كتابه « الدر المُنَظَّم » (راجع مخطوط الترسيسى ، ورقة ١ — ٢ ؛ الإيرانى ٣٥ — ٤٤ ؛ القندوزى ، « ينابيع المودّة » ، ص ٤٠٤ — ٤٠٧ ؛ مع مخطوط باريس رقم ٢٦٦١ ، ورقة ٢١ ب إلى ١٢٤ ا) ، تتألف من ثلاثة أجزاء : ديباجة تذكر فيها أسماء الله (« خالق السموات والأرض وفاطرها . . . ») ، ثم أسماء النبى محمد (« الخاتَم لما سَبَق من الرسالة . . . ») ؛ — ويتلو ذلك سَرْدٌ للمصائب المتزايدة التى لا بد أن تتلو

(١) « فيذبح على الصفا المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة التى فى بطن الوادى على طرف درج طور زيتا ، المقنطرة التى على يمين الوادى » .

وفاته (« عَظُمَتْ البَلْوَىٰ واشتدت الشكوى . . . ») ، على لسان الخليفة . فبينما كان علىٌّ فوق المنبر بمسجد الكوفة الجامع ، قاطعه كافر هو سُوَيْد بن غَفَل الهلالى ، وسأله من أين له معرفة كل هذا . فالتفت إليه ، ورمقه بعين الغضب ، ثم خطب خطبة مسجوعة مكونة من ٢٦٨ اسم يتحدث فيها عن نفسه بصيغة المتكلم (« أنا سِرُّ الأسرار ... ») . فلما سمعها سُوَيْد الكافر خرّ ميتاً ، وهنالك استأنف علىٌّ كلامه (« سَلونى قبل أن تفقدونى » — وهى عبارة مشهورة) فسرد ، فى عبارات مسجوعة ، الفتن التى ستقع حتى آخر الزمان : مبتدئةً من العِلْج الذى من بنى قنطور (وهو الذى خرّب البصرة) ، ومنتقلةً ناحية الغرب من العراق إلى الشام ومصر (الثائرون الآتون من المغرب) حتى تتأدى ، بعد وصول طليعة ظافرة إلى القدس ، إلى مجىء « القائم » فى الإسلام .

والقسم المميّز هو نشيد الثمانية وستين ومائتى اسم . وعلى الرغم من أن (الشريف) الرضىّ لم يذكر منها شيئاً فى المجموعة التى جمعها من الخطب المنسوبة إلى علىّ (« نهج البلاغة » ، وهى خطب زيدية النزعة) ، فإن «خطبة البيان» تعود فى أغلب الظن إلى نهاية القرن الأول الهجرى ، وفقاً لمصادر أثبت هبة الله الشهرستانى أنها تسبق تأليف « نهج البلاغة » بمقدار ١٥٠ سنة (و« نهج البلاغة » جمع حوالى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) . ومما يدل على أن هذه القطعة كانت معروفة تماماً قبل سنة ٣٤٩ هـ (= ٩٦٠ م) ما ورد فى محاكاة تهكمية لمؤلِّف « أبى القاسم » ، نشرها متس (ص ١٥٧) ، ثم اقتباس ورد فى كتاب « البدء والتاريخ » للمقدسى (نشرة هيوار Huart ج ٢ ص ١٧٤) . وإذا كان غُلاة الشيعة المتأخرون قد صنعوا خطباً مستقلة عن هذه الخطبة ، (راجع فيما يتصل بالخطبة التى وضعتها البكتاشية ، كتاب برج [« الطريقة البكتاشية » لندن وهرتفورد سنة ١٩٣٧ John Kingsley Birge : *The Bektashi Order of Derwichs*, London] ص ١٤١) ، فإن للنصيرية خطبتين تُنسبان إلى علىّ (طنجية فى مخطوط باريس برقم ٥١٨٨ ص ٩٥ ؛ الخصيبى : « الهداية» ص ٤٧ ؛ قارن العبارة : « أنا مُهْلِكُ عاد . . . » التى اتهم الصولِىُّ المتشيع للنصيرية الحلاجَ بأنه قالها عن نفسه فى قضيته سنة ٣٠١ هـ/٩١٣ م)[1] ، وهما خطبتان

(١) وهى عبارة مشهورة عن فرقة المغيرية (المقدسى : « البدء » ج ٥ ص ١٣٦ ؛ قارن الوصفاء السبعة للأبدال السبعة) .

وثيقتا الصلة الواحدة بالأخرى وتاريخهما يرجع إلى ما قبل سنة ٣٠٠ هـ .

وفى إعلان الكيسانية الذى نشروه سنة ٢٧٨ هـ (= ٨٩١ م) إفادة واقتباس لبضع شذرات من هذه الخطبة (الطبرى : «تاريخ» ، تحت سنة ٢٧٨ هـ) . ويمكن أن نصَّاعد إلى ما قبل ذلك ، بفضل مصدر من مصادر « معرفة الرجال » (ص ١٣٨ ؛ قارن المامقانى ص ٣٩٢) للكشى الشيعى (وهى تراجم جمعت قبل سنة ٢٠٥ هـ/٨٢٠ م) عن طريق أبى العلاء خالد بن طهْمان الخَفَّاف السلولى الذى قال إنه يرويها عن الإمام باقر (المتوفى سنة ١١٣ هـ) . وهذا الادعاء له كل دلالته ، إذ ستكون هذه الخطبة صادرة عن سَبَئِيَّة الكوفة ، وهى طائفة تقول بتناسخ روح إلٰهية من دور إلى دور ، حتى يوم الحساب الذى يتجمع فيه تحقُّق الأسماء التاريخية التى اتخذها « الإنسان الكامل » ، وهى أسماء سردها الجابران (جابر الأنصارى وجابر الجُعْفى) فى الرسائل المنحولة التى نسباها إلى الإمام باقر ، مهما يكن من رأيهما فيمن هو هذا « الإنسان الكامل » : أهو الإمام « الصامت » (فرقة العينية) ، أم الإمام « الناطق » (فرقة الميمية) ، أم شيخ ملهم (فرقة السينية : سَلْمان الفارسى ، أو عيسى) .

وديباجة هذه الخطبة يلوح أنها أحدث عهداً بكثير .

أما « الملحمة » الأخيرة فإننا نلاحظ بصددها ، إذا ما راجعنا السلسلة القديمة « للمصائب » التى أوردنا بيانها من قبل ، أنها قد فقدت كل نبرتها تقريباً بحكم كثرة الاستعمال .

وها نحن أولاء نسوق أهم الأسماء الواردة فى هذه الخطبة (ويجب أن نضع أمام كل منها : « أنا ») :

١ . سرُّ الأسرار ؛ ٢ . شجرة الأنوار ؛ ٣ . دليل السموات ؛ ٤ . أنيس المُسَبِّحات ؛ ٥ . خليل جبرائيل ؛ صَفِيُّ ميكائيل ؛ ٧ . سَمَنْدَل الأفلاك ؛ ٨ . سائق الرعد ؛ ٩ . سرير الضُّراح[1] (= كعبة السماء الرابعة) ؛ ٢٠ . كيوان الكُهّان ؛ ٢٣ . مُوَثِّق الميثاق ؛ ٢٤ . عصام الشواهد ؛ ٣٥ . سبب الأسباب ؛ ٣٦ . أمين السحاب ؛ ٣٧ . مسدد[2] الخلائق ؛ ٣٩ . جوهر القِدَم ؛ ٤٥ . الأول والآخر ؛ الباطن والظاهر ؛ ٦٤ . جَناح البُراق ؛

(١) [كذا يفهما ماسينيون ؛ ونقرأها نحن : سرير الصُّرَّاح] .
(٢) [ترجمها ماسينيون بما يدل على أنه يقرأها : مشرد] .

٧٤ . شِمْلال الخَيّال ؛ ٧٦ . مُفَجِّر الأنهار[١] ؛ ٧٨ . مُفيض الفُرات ؛ ٨٨ . أمّ الكتاب ؛ ٩١ . أساس المجد ؛ ٩٨ . خامس الكساء ؛ ١٠١ . رجل الأعراف ؛ ١٠٥ . مائدة الكشف ؛ ١٠٩ . سر إبرٰهيم ؛ ١١٠ . ثعبان الكليم ؛ ١١١ . علانية للمعبود ؛ ١١٥ . مخاطِب الكهف ؛ ١٢٧ . ثبير[٢] الترك ؛ ١٢٩ . هنبتا[٣] الزنج ؛ ١٣٠ . جرجس الفرنج ؛ ١٣٣ . برستم الروس ؛ ١٤٤ . إيليا الإنجيل (الطور ، التعذيب : الخَضِر) ؛ ١٤٥ . جُنَّة الغزاة ؛ ١٤٦ . كاسى العراة ؛ مُؤاخى يوشع وموسى ؛ ١٤٨ . ميمون رضى عيسى ؛ ١٥١ . شديد القُوى ؛ ١٥٢ . حامل اللواء ؛ ١٥٣ . إمام المحشر ؛ ١٥٤ . ساقى الكوثر ؛ ١٥٥ . قسيم الجِنان ؛ ١٥٧ . يعسوب الدين ؛ ١٦٣ . قالِع الباب (باب خيبر) ؛ ١٦٥ . صاحب البيعتين[٤] ؛ ١٦٨ . مخاطب الأموات ؛ ١٧٥ . الجوهرة الثمينة ؛ ١٧٦ . باب المدينة ؛ ١٧٣ . مُحْكِم «الطواسين» ؛ ١٨٤ . أمانة «ياسين» ؛ ١٩٠ . صاحب «النجم» (الزُّهرَة) ؛ ١٩١ . جانب «الطور» ؛ ١٩٢ . باطن الصور ؛ ١٩٦ . سهام «الذاريات» ؛ ٢٠٠ . أمانة «الأحزاب» ؛ ٢٠٩ . ممدوح « هل أتى » (سورة الإنسان أو الدهر : ١) ؛ ٢١٠ . «النبأ العظيم » (سورة النبأ : ٢) ٢٠٥ . علامة « الطلاق » ؛ ٢١٤ . عذوبة القطر ؛ ٢١٥ . هلال الشهر ؛ ٢١٦ . لؤلؤ الأصداف ؛ ٢١٨ . سرُّ الحروف ؛ ٢٢٥ . روح الأشباح (وهى الأجسام المنظورة للأئمة) ؛ ٢٢٩ . الشهيد المقتول ؛ ٢٣٥ . مُكَسِّر الأصنام ؛ ٢٣٦ . صاحب الإذن[٥] ؛ ٢٤٠ . شيث البراهمة ؛ ٢٤٢ . أزوهن[٦] البطارِق ؛ ٢٤٣ . بطرس الروم ؛ ٢٥٠ . مشكاة النور ؛ ٢٥١ . إمام أرباب الفتوّة ؛ ٢٥٩ . مهدى الأوان ؛ ٢٦٠ . عيسى الزمان ؛ ٢٦١ . وجه الله ؛ ٢٦٧ . ليث بنى غالب ؛ ٢٦٨ . على بن أبى طالب .

وهذه الأسماء ، التى أخذ ثلثها تقريبا من القرآن ، تطوى فى الإسلام كل الشعوب والطوائف (أرقام ١٢٧ — ١٣٣ ، ٢٤٠ — ٢٤٣) التى تحاسب يوم الحساب وفقاً لمقدار

---

(١) [يقرأها ماسينيون بمعنى أنها جمع نهار !] .
(٢) [يقرأها ماسينيون : بشير] .
(٣) [كذا يقرأها ؛ راجعها بعد] .
(٤) [يترجمها ماسينيون بما يفيد أنه يقرأها : اليقين] .
(٥) [يقرأها ماسينيون : الأذان — وهى لا تستقيم فى السجع مع ما يليها] .
(٦) [يقرأها ماسينيون : ذوهن] .

قبولهم للتجلّى الإلهى بين الناس : التجلّى فى صورة إنسان ، مُهيبةً به ، حتى تحظى بالنجاة ، تحت واحد من هذه الأسماء التى تعترف بها له (وقد أُوحِىَ بها من قبل) . وهنا تثار مشكلة أوغلت فى بحثها طوائف الشيعة : هل هـذا التجلّى من « السِّين » ، أى تقديس من جانب الروح لشيخٍ ؛ أو من «العين» ، أى ملـكوت صامت من الله المعبود ، فيه تقديس للإمام ؛ أو من «الميم» أى كلام الله بلسان نبيِّه ؟ وجمهرة الأسماء المذكورة هى « سينية » (أرقام ٤ ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٦٤ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠) وتشير إلى تلك الروح القدس التى ولدت وهَدَتْ خصوصاً — بعد الخَضِر — عيسى ثم سَلْمان ، والتى ستحل فى الحاكم الأخير . وثمت أسماء أخرى هى إما أسماء أنبياء ، خصوصاً محمد ، وإذن هى « ميمية » (أرقام ٥ ، ٦ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٩) ، أو أوصياء الأنبياء (أرقام ٩٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٤٧ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥١ : وعلى الأخص علىّ) . وأخيراً هناك أسماء الألوهية القديمة الصامتة (أرقام ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ [قارن « هيولى الكواكب »] ، ٤٥ ، ٧٦ ، ٢٠١) ، وإذن هى « عينية » . ومصدر هذا النص الذى نحن بصدده واضحٌ أنه إمامى « عينىّ » ، لأنه يكرّس كل الخطبة لعلىّ مؤلَّهاً ؛ لـكن نموذجه لا بد أن يكون « سينيا» يستهدف ذلك الحاكم النهائى الذى ستحل فيه الروح — عيسى (سلمان ، حمزة).

وإلى جانب « الإنسان الـكامل » تراءى للإسلام ، وهو يحدّد المسيح اليهودى ، (وهذا أمر لم يفعله بنو إسرائيل) الدور النشورى التمهيدى الذى ستقوم به المرأة الـكاملة ، تلك المرأة المضطهدة الوارد ذكرها فى«رؤيا» يوحنا ، والتى منها سيولد « الإنسان الـكامل » . ونحن نحيل فى هذا إلى الخطبة العجيبة النصـيرية المنسوبة إلى فاطمة[1] ، أو بالأحرى إلى « الأنوثة » التى تجلّت أيضاً فى كلتا المريمين ، مريم بنت عمران ، ومريم بنت يواقيم : « هى

---

(١) راجع بحثى عن « العبادة الغنوصية لفاطمة » ، اتسورش Zürich سـنة ١٩٣٨ (كتاب إيرانوس السنوى *Eranos-Jahrbuch* ص ١٦٢ — ص ١٧٣) . ولاحظ ، فيما يتعلق بالصـلة بين فاطمة ومريم ، أن والدة المهدى يجب أن تـكون نصرانية نبيلة المولد (من نسل بطرس) . والأئمة يلقبهم السين (= الروح القدس) عند السينية ، وأمهم عذراء ؛ وكما أن مريم « حملت بأذنها » ابنها ، الذى نبأها باسمه الملائـكة (سورة آل عمران : ٤٤ : « إذ قالت الملائـكة : يامريم ! إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ») ، فإنها هى تحمل بواسطة السين .

صخرة انبجست عيوناً اثنا عشر » . وآفة هذه الخطبة ، آفتها الوحيدة ، هى أنها خلعت صفة المادة فى تصويرها لِنَسَبِ الميلاد الروحى (الذى تمتاز فيه بأنها ربطت المرأة بالسّين) ؛ أما الحلاج فسيقول بعبارة أدق وأصدق : « أسرارنا بِكْرٌ ما اقتضَّها إلا خاطر الحق » .

(وصحة « ختم الأولياء » للحكيم الترمذى (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) ، خاتم الأولياء هذا الذى نشرتُ مجمله تبعاً لابن عربى (« مجموع نصوص » ص ٣٣ — ٣٦ = « الفتوحات المكيّة » ج ٢ ، ص ٤٤ — ١٥٤ ، ٤٥٤) ، تتأيد الآن بالفصول المناظرة لها عند الحكيم الترمذى فى كتابه « نوادر الأصول » (نشرة سنة ١٢٩٣ هـ ، ص ١٥٧ — ١٥٨) ؛ قارن أيضاً كلام ابن عربى عن الأولياء العيسوية (« الفتوحات » ، ج ١ ، ٢٤٩ — ٢٥٥ ؛ ج ٢ ، ٦٤ — ٦٥ ؛ « رسالة القُدْس ») .

نص ملحق

« خطبة البيان »(*)

[ص ٢١ ب] . . . ولما خطب الإمام رضى الله عنه خطبته الأولى ، وكان حاضراً سُوَيْدُ بنُ غَوْفَل الهِلالىُّ ، فقام إليه وقال له : يا أمير المؤمنين ! أنت حاضرُ ما ذكرتَ وعالمٌ به و بتأويل ما أخبرت ؟ فالتفت إليه أمير المؤمنين رضى الله عنه ، ورمقه بعين الغضب ، ثم قال له : ثَكِلَتْكَ الثواكلُ ، ونزلت بك النوازل ! يا بن الجبان الخبائث ، والمكذِّب النا كث ! سيقصر بك الطول ، ويغلبك الغول :

« أنا سِرُّ الأسرار ، أنا شجرة الأنوار ؛ أنا دليل السموات . أنا أنيس المُسَبِّحات ؛ أنا خليل جبرائيل ، أنا صَفِيُّ ميكائيل ؛ أنا قائد الأملاك ، أنا سَمَنْدَلُ الأفلاك ؛ أنا سائق الرعد ، أنا شاهد العهد ؛ أنا سرير(١) الصُّرَّاح ، أنا حفيظ الألواح ؛ أنا قطب الديجور ، أنا البيت المعمور ؛ أنا زاجر القواصف ، أنا مُحَرِّك العواصف ؛ أنا مُزْنُ السحائب(٢) ، أنا نور الغياهب ؛ أنا شرف الدوائر ، [٢٢ ا] أنا مؤثر المآثر ؛ أنا كيوان الكهّان ، أنا شأنُ الامتحان ؛ أنا شِهاب الإحراق ، أنا موثِّق الميثاق ؛ أنا عصام الشواهد ، أنا سهام الفراقد ؛ أنا شعاع العساعِس ، أنا جَوْفُ الشوامس ؛ أنا فُلْكُ اللجَج(٣) ، أنا حُجَّةُ الحُجَج ؛ أنا ميمن الأمم ، أنا فضيل الذمم ؛ أنا سِمَاكُ البهو ، أنا إمام العفو ؛ أنا سبب الأسباب ، أنا أمين السحاب ؛ أنا مُسَدِّد الخلائق ، أنا مُحَقِّق الحقائق ؛ أنا جوهر القِدَم ، أنا مُرَتِّبُ الحِكَم ؛ أنا منية الأمل ، أنا عامل العمل(٤) ؛ أنا شريف الذات ، أنا محدث الشتات أنا

(*) [ننشر هنا هذا النص عن مخطوطين بباريس اعتمدنا منهما رقم ٢٦٦١ ورقة ٢١ ب — ١٢٤ ا — المترجم] .

(١) فى الأخرى (رمزها ث) : صرير . والأولى أصح لأنها من سرير : أى يُسَرُّ إليه الكلام . وماسينيون يقرأها : سرير الضرح (بالضاد المعجمة) ويفهم السرير بمعنى التخت . راجع قبل ص ١٠٥ تعليق ١ .

(٢) فى النسختين : السحاب .

(٣) فى النسختين : الحج .

(٤) فى النسختين : العوامل .

الأول والآخر ، أنا الباطن والظاهر ؛ أنا البرق اللموع ، أنا السقف المرفوع ؛ أنا قمر السرطان ، أنا شِعْرَى الزِّبْرِقان ؛ أنا أسد النثرة ، أنا سعد الزُّهرَة ؛ أنا مُشْتَرِى الكواكب ؛ أنا زُحَل الثواقب ؛ أنا غفير الشرطين ، أنا ميزان البطين ؛ أنا حَمَل الإكليل ، أنا عُطارِد التفصيل ؛ أنا قوس العراك ، أنا فرقد السماك ؛ أنا مِرِّيخ القران ، أنا عَيُّوق الميزان[1] ؛ أنا حارس الاستراق ، أنا جناح البُراق ؛ أنا جامع الآيات ، أنا سريرة الخفيّات ؛ أنا ساجر البحر ، أنا قسطاس القَطْر ؛ أنا مُصاحِب الجديدين ، أنا أمير النّيرين ؛ أنا محط القِصاص ، أنا خلاصة الإخلاص ؛ أنا شِمْلال[2] الخَيّال ، أنا مُقَدِّم الآمال ؛ أنا مُفَجِّر الأنهار ، أنا مُعْذِب الثمار ؛ أنا مفيض[3] الفرات ، أنا مُعْرِب [٢٢ ب] التوراة ؛ أنا مَلك بن ملك ، أنا هدية الملك ؛ أنا مبين الصحف ، أنا يافث الكَتَف ؛ أنا ذخيرة الشَّكور ، أنا مُفْصح الزبور ؛ أنا مُؤَوِّل التأويل ، أنا مُفَسر الإنجيل ؛ أنا أمُّ الكتاب ، أنا فصل الخطاب ؛ أنا صراط الحمد ، أنا أساس المجد ؛ أنا منجد البررة ، أنا سورة البقرة ؛ أنا مُثْقِل الميزان ، أنا صفوة آل عمران ؛ أنا علم الأعلام ، أنا جملةُ الأنعام ؛ أنا خامس الكساء ، أنا تبيان «النساء» ؛ أنا أُلفة الأُلاف ، أنا رَجُلُ الأعراف ؛ أنا مَحَجَّة القال ، أنا صاحب « الأنفال » ؛ أنا « مائدة » الكشف ، أنا « توبة » الثقف ؛ أنا صادق المثل ، أنا راسخ الجبل ، أنا سر إبراهيم ، أنا ثعبان الكليم ؛ أنا علانية المعبود ، أنا صف « هود » ؛ أنا نحلة الخليل ، أنا مبعوث بنى إسرائيل ؛ أنا مخاطب « الكهف » ، أنا محبوب «الصف» ؛ أنا وَلِيُّ الأولياء ، أنا وَرَثة الأنبياء ؛ أنا لاهج النَّهج ، أنا حُجَّة الحجج ؛ أنا موصوف المؤمنين ، أنا نور المُسَبِّحين ؛ أنا الفرقان ، أنا البرهان ؛ أنا عقود الكرهن ، أنا عماد المركن ؛ أنا ثبير الترك ، أنا شملاص الشرك ؛ أنا جنبثا الزنج ، أنا جرجس الفرنج ؛ أنا عِقْد الإيمان ، أنا زركم الغيلان ؛ أنا برستم الروس ، أنا لولش الشدوس ؛ أنا سلمة المكا ، أنا دودين الخكا ؛ أنا بدر البروج ، أنا شنشا الكروج ؛ أنا حاتم الأعاجم ، أنا دوشان التراجم ؛

---

(١) ناقصة فى ث .

(٢) يقال ناقة شملال أو شمليل : سريعة ؛ أى أنا سرعة الخيال السريع .

(٣) س : مفيض الفوات . وماسينيون يفهم الفرات هنا بمعنى نهر الفرات المعروف ، ولكن الأرجح أن يكون المقصود هو الماء الفرات أى العذب .

أنا أوريا الزبور ، أنا حجاب الغفور ؛ أنا صفوة الجليل [٢٣ ا] ، أنا إيليا الإنجيل ؛ أنا جُنَّة الغزاة ، أنا كاسى العُراة ؛ أنا مؤاخى يوشع وموسى ، أنا ميمون رضى عيسى ؛ أنا رز ملاح الفرس ، أنا عماد الأنْس ؛ أنا شديد القوى ، أنا حامل اللوا (ء) ؛ أنا إمام المحشر ، أنا ساقى الكوثر ؛ أنا قسيم الجنان ، أنا مشاطر النيران ؛ أنا يعسوب الدين ، أنا إمام المتقين ؛ أنا وارث المختار ، أنا ظهير الأظهار ؛ أنا مبيد الكفرة ، أنا نور الأئمة البررة ؛ أنا قالع الباب ، أنا مفرِّق الأحزاب ؛ أنا صاحب البيعتين ، أنا رب بدر وحُنَين ؛ أنا حافظ الكلمات ، أنا مخاطب الأموات ؛ أنا مُكلِّم الثعبان ، أنا آلاء الرحمن ؛ أنا الضارب بالسيفين ، أنا الطاعن بالرمحين ؛ أنا ليث الزحام ، أنا إنْس الهوام ؛ أنا الجوهرة الثمينة ، أنا باب المدينة ؛ أنا وارث العلوم ، أنا هيولى النجوم ؛ أنا مفسِّر البيّنات ، أنا مبين المشكلات ؛ أنا أول المصدقين ، أنا إمام المتفرسين ؛ أنا محكم « الطواسين » ، أنا أمانة « ياسين » ؛ أنا حاء « الحواميم » ، أنا سابق « الزُمُر » ، أنا آية « القمر » ، أنا صاحب « النجم » ، أنا جانب الطور ، أنا باطن الصور ؛ أنا عتيد « قاف » ، أنا وازع « الأحقاف » ؛ أنا منازل « الصافات » ، أنا سهام « الذاريات » ؛ أنا فاطر النافعة ، أنا متلو « سبأ » و« الواقعة » ؛ أنا أمانة « الأحزاب » ، أنا مكنون الحجاب ؛ أنا وعد الوعيد ، أنا مثال « الحديد » ؛ أنا وفاق الآفاق ، [٢٣ ب] أنا علامة « الطلاق » ؛ أنا « النون والقلم » ، أنا مصباح الظلم ؛ أنا سؤال متى ، أنا ممدوح « هل أتى » ؛ أنا « النبأ العظيم » ، أنا السراط المستقيم ؛ أنا زمام الطَّوْل ، أنا محكم الفضل ؛ أنا عذوبة الفِطْر ، أنا هلال الشهر ؛ أنا لؤلؤ الأصداف ، أنا جبل قاف ؛ أنا سرُّ الحروف ، أنا نور الظروف ؛ أنا الجبل الراسخ ، أنا العلم الشامخ ؛ أنا مفتاح الغيوب ، أنا مصباح القلوب ؛ أنا نور الأرواح ، أنا روح الأشباح ؛ أنا الفارس الكرار ، أنا نُصرة الأنصار ؛ أنا السيف المسلول ، أنا الشهيد المقتول ؛ أنا جامع القرآن ، أنا تبيان البيان ؛ أنا شقيق الرسول ، أنا بعل البتول ؛ أنا عمود الإسلام ، أنا مُكسِّر الأصنام ؛ أنا صاحب الإذن ، أنا قاتل الجن ؛ أنا ساقى العِطَاش ، أنا نائم الفراش ؛ أنا شيث البراهمة ، أنا سعد اليعاقبة ؛ أنا أزوهن البطارق ، أنا كور المغارق ؛ أنا بطرس الروم ، أنا سيد الأثموم ؛ أنا حقيق

الأرمن ، أنا أمين المأمن ؛ أنا صالح المؤمنين ، أنا إمام المعلمين ؛ أنا غاب الكنور ، أنا مشكاة النور ؛ أنا إمام أرباب الفتوة ، أنا كنز أسرار النبوة ؛ أنا المطلع على أخبار الأولين ، أنا المخبر عن وقائع الآخرين ؛ أنا حامل الراية ، أنا صاحب الآية ؛ أنا قطب الأقطاب ، أنا حبيب الأحباب ؛ أنا مهدى الأوان ، أنا عيسى الزمان ؛ أنا واللهِ وجهُ الله ، أنا واللهُ أسدُ الله ؛ [١٢٤] أنا سيد العرب ، أنا كاشف الكُرَب ؛ أنا الذى قيل فى حقى : لا فتى إلا عَلِيّ ؛ أنا الذى قيل فى شأنه : أنت منى ، بمنزلة هارون من موسى النبى ؛ أنا ليث بنى غالب ، أنا على بن أبى طالب » .

قال : فصاح السائل صيحة عظيمة ، وخرّ ميتاً . فعقب أمير المؤمنين كلامه كرم الله وجهه بأن قال : الحمد لله بارى النسم ، وذارى الأمم ، والصلاة على الاسم الأعظم والنور الأقوم . ثم قال : سلونى عن طرق السماء فإنى أعلم بها من طرق الأرض ! سلونى قبل أن تفقدونى ، فإن بين جنبيَّ علوماً كالبحار الزواخر ! — فنهض إليه الرُّسَّخ من العلماء ، والمُبَرَّ من الحكماء ، وأَحْدَق به الكُمَّلُ من الأولياء ، والنُّذَّر من الأصفياء ، يقبّلون مواطئ قدميه ، ويقسمون بالاسم الأعظم عليه ، بأن يتمم كلامه ويكمل نظامه ... » .